حُلم العقل

تأليف : بويرو بابيخو ـ ٣
ترجمة وتقديم : د . صلاح فضل
مراجعة : د . الطاهر احمد مكي

مكتبات مكتبة العرب
www.libraray4arab.com/vb

مسلسلة
من
المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

أحمد مشاري العدواني

حمد يوسف الرومي
الوكيل المساعد للشئون الفنية

د. طه محمود طه
أستاذ الأدب الإنجليزي الحديث
جامعة الكويت

المراسلات باسم :

الوكيل المساعد للشئون الفنية
وزارة الإعلام
ص.ب ١٩٣

منتديات مكتبة العرب

http://www.library4arab.com/vb

منتديات مكتبة العرب

http://www.library4arab.com/vb

من المسرح العالمي
شهرية
أول ديسمبر ١٩٧٩
١٢٣

حُلم العقل

تأليف : بوريس بايتخو
ترجمة وتقديم : د. صلاح فضل
مراجعة : د. الطاهر احمد مكي

تصدر عن : وزارة الاعلام - الكويت

منتديات مكتبة العرب

http://www.library4arab.com/vb

مقدمة بقلم المترجم

بدأت **حلم العقل** تختمر لدى مؤلفنا الذى لا ننسى أنه كان فى شبابه فنانا تشكيليا ـ بملاحظة عابرة سمعها من صديق له عندما قال « أعتقد أن جويا كان يسمع مواء القطط » (١) ولم تكن هذه هى المرة الاولى التى عايش فيها تاريخ الفن الاسبانى واستحضر واحدا من أعلامه الكبار على خشبة المسرح ، فقد سبق له أن فعل ذلك مع « بيلا ثكيث » فى مسرحية « **الوصيفات** » . لكن المتابع لانتاج « بويرو » يرى أنه قد بلغ هنا ذروة النضج الفنى حيث تفوق على نفسه وبدا صفحة جديدة فى تاريخه الدرامى . وربما فى تاريخ المسرح الاسبانى كله ، اذ كثيرا ما كنا نجد مؤرخى الادب الاوربى يأخذون على المسرح الاسبانى المعاصر خاصة بعد لوركا ـ طابعه المحلى الاقليمى وانفصاله عن التيارات العالمية فى أشكالها التقدمية الجريئة ، مشيرين الى خلوة مثلا من نماذج العبث واللا معقول ـ باستثناء « أرابال » المهاجر فى باريس ـ وانحصاره فى نطاق الواقعية الجديدة التى استنفذت طاقتها وأضحت عاجزة عن الوصول الى أعماق الانسان المعاصر . ولقد كان التعسف والافتعال انتظار مثل هذه الاعمال من المسرح الاسبانى الذى يتبع فى تطوره منطقا فنيا ليس معزولا عن التجربة المسرحية العالمية بقدر ما هو خاضع لعوامل قومية تضفى عليه صبغة متميزة . ولكن ظهور **حلم العقل** يشير الى نتيجة هامة وخطيرة ، وهى أن التطور الثقافى والفكرى لاسبانيا لا يبعد بها كثيرا عما يحدث فى جاراتها ، بل انه يقود الفنانين فيها الى نفس الاتجاهات بطريقة عفوية لا يمكن لاكثر الناس تجنبا أن يعتبرها من قبيل التقليد ، الا أن سطوة التقاليد تدفع الطليعيين الاسبان الى اللجوء الفنى فى باريس ـ ربما ليمارسوا دور القيادة ـ مثل « بيكاسو » فى فن الرسم و « أرابال » فى المسرح . ثم لا يلبث الموقف أن يتغير ، عندما تختمر كل العناصر وتنبعث حركات التجديد قوية عارمة لا تقف فى وجهها سطوة التقاليد . وها هو ذا المسرح الاسبانى ـ متكئا على تراثه الحضارى ومواقفه التاريخية ـ يغزو مناطق اللا معقول بأعمق منطق معقول . وينبغى أن نتسامح فى استخدام مصطلح اللامعقول هنا لانه قد اكتسب خصائص جديدة ، فلم يعد تجريدا هيكليا ذهنيا مثل هذا الذى تمارسه المسارح الفرنسية فى النصف الثانى من هذا القرن ، ولكنه عمل توثيقى رائد يخط لنا شهادة ميلاد هذا النوع على الارض الاسبانية بطريقة مشروعة ، أبوه الواقع وأمه الحياة الفكرية القومية . وعبارة « جويا » ـ التى أعطت للمسرحية الحالية عنوانها **حلم العقل** ـ

---

(١) انظر كلمة الاهداء المصدرة بها مسرحية **حلم العقل**

ـ أو نوم العقل ـ ينتج الفظائع « هى نفسها شهادة الميلاد . ان المستحيل لم يبتدعه فكر المؤلف ، ولكن أملته البشاعات التى تزخر بها الحياة ، ومؤلفنا بالاضافة الى ذلك لم يقطع حباله مع المسرح الواقعى ، وهذا هو المهم ، ما زال هناك جسر يربطه به وهو صمم البطل ، فلو نسينا للحظة واحدة أن جويا كان أصم لأدركنا مدى الطليعية اللامعقولة فى هذه المسرحية . ومع ذلك فنحن لا نتمنى فقدان هذا الجسر ، لانه التبرير الضرورى الذى يسمح للمشاهد بالاطلال على العالم الداخلى للفنان ، كى يرى فيه عظمة دنيانا وبؤسها معا . ولقد أتاح له هـــذا الصمم ـ الحقيقة الرمز ـ الفرصة ليقدم عملا مشحونا مفعما بالمواقف التى تنضح فيها روح السخرية ، فجويا يهتف أحيانا « كثيرا ما أعتقد أن الآخرين أكثر صمما منى » (٢) وهو يلاحظ التناقض المسنون بين دنياه الباطنية وأشكال الناس من حوله ، بين عظمته وبؤسهم ، بين حياته وموتهم ، يقول « جويا » ـ وهو وحده الذى يقول أما الآخرون فيتلمظون بالاشارات : « الناس يضحكون ، يغيرون ملامحهم ، يكلموننى ، وأنا أراهم أمواتا ، فأتساءل : ألا يحتمل أن أكون أنا الميت الذى يشهد عبث الديدان فى تل من الجيفة » . نقول أن « جـويا » هو وحده الذى يتكلم فى المسرحية ـ وهذه هى الحيلة التكنيكية الماهرة للمؤلف ـ فيضعنا فى داخله، نفكر معه ، ونرى بعينه ، و « لا » نسمع بأذنه ، وقـد سبق للمؤلف أن عـرض لنا مرتين عالم المكفوفين ، ولكنه هنا يضعنا داخل عالم الصم . فى حضرة «جويا» على الآخرين أن يتحولوا الى دمى ، ما نسمعه من صوت غير صوته انما هو مناجاة سرائره وايقاع وجدانه . لقد نقل « بويرو » انجازات قصة تيار الوعى ـ بعد تقطيرها وتوظيفها ـ الى عالم المسرح واكتشف الى جانب أبعادها الدرامية والمأساوية كيف أنها عندما تصل الى نقطة التماس مع العالم الخارجى تفجر شحنة هائلة من روح الفكاهة تنبع من طبيعة المفارقة بين العالمين ، ويكفى أن نشير الى مشهد الحوار الصامت بين رفيقة « جويا » وزوجة ابنه والذى ينتهى الى انفجارهما فى قوقأة ونهيق صاخبين مما يلقينا فى حلبة مرحة وينتزع منا الضحك الذى يشبه النشيج لصخبه وقسوته .

وقد تصل الدراما فى داخل الفنان الى مستوى من العمق يمس المسرحية بعضا سحرية تحيل هذيانها الى نوع من الشعر الرفيع ، شعر تتألق فيه طاقات « جويا » الروحية الخلاقة التى لا تبدع بالريشة فحسب ، بل وبالكلمة أيضا . وتعطى للعمل طابعا شجيا يتكامل مع روح الفكاهة ليقرب من المأساة ويقف على أعتابها ، لا بدمعة الميلودراما الباسمة ، وانما بلحظة الاضاءة الصافية الأسوانة ، مثل هذا المشهد الذى يقول فيه « جويا » لرفيقته « ليوكاديا » عندما تثور فى نفسه الشكوك :

« أكفان من النار تغطيك .. تغطيك .. » الخ .

وتقدم حركة المسرحية ـ الى جانب هذا الصراع الداخلى ـ على نوع آخر من الصراع المتحرك بين الملك والفنان ، فى المشهد الأول يكيد صاحب الجلالة للرسـام

---

(٢) نص مسرحية « **حلم العقل** » .

منتديات مكتبة الرب
www.libraray4arab.com/vb

العنيد طبقا لسياسته العامة التى تهدف الى تحويل الشعب لقطيع مطيع لسلطته المطلقة : « لا أريد ديكة تتصارع ، بل رعايا وادعين .. يرتجفون .. وبحرا من الدموع لقاء كل السباب الذى يقذفوننى به » ، وهو يريد أن يقوم وحده بدور المروض : « لكى تكون سلطتى مطلقة لا أريد محاكم تفتيش ، فالذين يطالبون بمحاكم التفتيش وهم القسس استخدموها لخدمة مآربهم حتى أصبحت مكروهة من عامة الشعب . »

وقد حذفت هذه الفقرة من المسرحية خلال العرض ـ لا بأمر من الرقابة ـ وانما كلون من تصرف المؤلف الذى التزم سياسة المهادنة مع السلطات الدينية . ولولا أن القسيس الذى يظهر فى حلم العقل ـ وهو الاب « دواسو » يقوم بدور هام فى حماية « جويا » لكان موقف مؤلفنا أقرب الى عداء الكنيسة . ومع أن « دواسو » كان أداة للملك فى تنفيذ مخططه الارهابي ضد الفنان الكبير الا أنه لم يتآمر معه . فهذا الاب الذى كان مكلفا بالرقابة على المطبوعات يزور « جويا » ليقنعه بطلب العفو والنعمة من رب التاج فيرد عليه الفنان « أشكر لك زيارتك ، لكن قل لى : هل كلفوك أيضا برقابة اللوحات ، لا تخدعنى ، فأنا أصم والجميع يحاولون خداعى ، ان كنت قد جئت لتحاكم رسومى فلا تخف ذلك على . ويتعدى هذا النقد المرير الى مناقشة رسول الملك فى مشروعية السلطة المالكة نفسها وينقض دعواه فى اعتمادها على الحق الالهى المزعوم بسخرية قاسية : « الحق الالهى ! هيا يا صديقى .. أتعنى ما تقول ! اسمع يا أبى .. انك لست قسيسا تافها فى قرية مغمورة ، بل عالم لغوى ينتظره مقعد فى مجمع الخالدين ، فلا يمكن أن تكون مؤمنا بذلك .. أو تعتقد أن دم عزيزنا « فرناندو » ينحدر فعلا من أبيه الملك « كارلوس » ! أما انا فأجرؤ على سوء الظن ، وأؤكد لك أن العذراء لم تكن تثق بقوة ارادة الملكة الام ولا طهرها »! وهذا هو موقف « جويا » التحرر بأقصى ما يتيحه له منطق عصره ، وهو لذلك يرفض طلب الصفح من الملك ويترفع على الذهاب الى قصره ويفضل البقاء وحده ليرسم لوحاته البشعة ، بلا سيد . « لقد رسمت هذه الاشكال البشعة يا أبى لانى رأيتها ، وبعد ذلك رسمت هذا الكلب الوحيد الذى لم يعد يدرك شيئا وأصبح بلا سيد . ولقد شهدت أنت كل الشناعات ، لكنك مازلت فى القصر بجوار سيدك ، أما أنا فكلب يريد أن يفكر على النحو التالي : منذ قرون عديدة انتزع احد بالقوة ما ليس له ، وفى مواجهة هذه القوة جاءت قوى مضادة ، وهكذا دواليك حتى الآن » ولا يهمنا فى هذه الفقرة دلالتها الصريحة على موقف « بوربو » ورفضه للملكية فى عصر طغيان النظام الفاشى فى حياة « فرانكو » وانما يهمنا منها استشهاد المؤلف بتفاصيل لوحات « جويا » واستقاء الدليل منها على موقفه السياسى والفكرى وانبثاقه من الواقع التاريخى لعصره مرتبطا بتطوره الداخلى كفنان ، فليس الرسم هنا آراء مبثوثة عن كيفية التصوير ولا أخبارا تساق بمناسبة اللوحات كتعليق عليها ، وانما هو ملتحم بطبيعة الحدث ، فالصور التى لا يتوقف عرضها على الجدار الخلفى للمسرح ليست ديكورا للمناظر ولا لوحات ممسرحة وانما هى اعمال تقدم عناصر درامية بشكلها وتفاصيلها وتتقدم فى التعبير عن ازمة الفنان بالتوازى مع

منتديات مكتبة العرب

www.libraray4arab.com/vb

الكلمات والحركة الخارجية . والمسرحية كلها ـ بهذا التصور ـ محاولة لتأويل لوحات جويا فى مرحلته الاخيرة المريبة وربطها بحياته الخاصة والعامة فى تلك الحقبة التاريخية المحددة .

وينتهز مؤلفنا فرصة لوحة جويا الشهيرة « أسموديا » التى تمثل امرأة جميلة تحمله الى جبالها الساحرة ليرتاح من عذاب البشرية فيجعله يرى ما هو أهم من ذلك ، يرى أناسا يطيرون ، أو أطباقا طائرة ـ قبل عصر الطيران طبعا ـ مما يضع جويا فى منطقة قريبة من « دون كيخوتى » ويكشف عن رغبة مؤلفنا فى البوح بأحلامه فى الخلاص على يد قوى من عالم آخر ان لم ترد قوى عالمنا أن تتحرك بجهد مخلص فى تحرير الانسان وتحقيق امكاناته المبدعة

ويبدو ان العجز الجنسى الذى يكاد يحاصر « جويا » فى شيخوخته ويتضح فى علاقته برفيقته « ليوكاديا » ليس سوى صوره اخرى للاحباط السياسى الذى يقهره ، ويتوحد مصدر التحدى فى لحظات فائقة ، عندما لا تصبح المرأة بمجرد وجودها الى جواره دليلا لا يطاق على ضعفه وعذابه فحسب ، بل تقوم هى نفسها بدور تحذيره من المحظورات السياسية وتنبيهه لوسائل القهر فيها وهى تعرب بالحاح عن مخاوفها قائلة « كل يوم تمر تتفاقم اجراءات النفى والسجن والشنق للمتحررين ، وفرانثسو (جويا) متحرر أسود ، من هؤلاء الذين لن تأخذ بهم أحد رحمة فى اسبانيا لزمن طويل ، واذا كانت المطاردة قد بدأت فسوف يقتنصونه هو الآخر ، وهو يعرف هذا ويظل ساكتا لا يريم ، هذا هو الجنون » . وعلى هذا فان وقائع المشهد الاخير الذى يدبره الملك بلا نبل ، والذى تتم فيه أمام عينى جويا جريمة انتهاك رفيقته يكتسب كثافة مأساوية عميقه بادماج هذين البعدين للعجز الشخصى والسياسى ، وينتهى بقهر البطل فعلا واذلال روحه حتى لا يبقى منه سوى شبح مضحك يقف على خشبة المسرح بطريقة هزلية مؤسية ويقول :

« يالها من سخريات ، كوميديا اراجوزات ، ادخلوا أيها الرجال ، أيتها السيدات ، شاهدوا غيرة القوادين . العجوز المضحك يهدد رفيقته الشابة لانه لم يجرؤ على ملاقاة غيرها » .

ثم تأتى عقب هذا المشهد عملية اندماج عارمة بين « جويا » العجوز الذى يقف على حافة القبر ، مع وطنه .. الذى يقف هو الآخر على حافة القبر ، لأن الحكمة فيه تغط فى سبات عميق ، ولان العقل فى غيبوبة حالمة أما من الذى انتصر فى هذا الصراع فلا أحد ، لأن الملك وان كان قد نجح فى اذلال الفنان وغزو قلبه بالخوف ، فلأنه هو نفسه كان قد صرعه الخوف ودمر نفسه : « من ذا الذى يثير فينا الخوف ! انه الانسان الذى مات من الخوف .. ولقد هزمنى ، الا أنه كان مهزوما من قبل » .

أما عن كوابيس « جويا » وتصوراته ، أحلامه وعذاباته ، فان تآلفا قويا فى الوسائل الفنية الرئيسية التى استخدمها مؤلفنا فيها وهى الصوت والصورة ـ وهما يقومان بعمل درامى ـ قد نجح فى ارتياد عالم من اللامعقول تتكثف فيه كل تلك الوسائل لتصب فى مجرى متوتر مسنون يستنفد امكانات الفنون المسرحية والتشكيلية ويستقطر ما فى المأساة من شعر وما فى الحياة من فن فى مسرحية تاريخية موغلة فى المعاصرة .

* * *

منتديات مكتبة العرب

http://www.library4arab.com/vb

حُلم العقل

تأليف : بويرو بابييخو - ٣
ترجمة وتقديم : د . صلاح فضل
مراجعة : د . الطاهر احمد مكي

منتديات مكتبة العرب

http://www.library4arab.com/vb

العنوان الاصلي للمسرحيه

primer acto

n.º 117 - Febrero 1970

SUMARIO

TEATRO ESPANOL

●

ANTONIO BUERO VALLEJO

EL SUEÑO DE LA RAZÓN

FANTASIA EN DOS ACTOS

منتديات مكتبة العرب

http://www.library4arab.com/vb

شخصيات المسرحية

- السيد فرانثيسكو تاديو كالوماردى — Don Francisco Tadeo
- الملك فرناندو السابع — El Rey Fernando VII
- السيد فرانثيسكو دى جويا — Don Francisco de Goya
- السيدة ليوكاديا ثوريا دى ويس — Dona Leocadia Zorilla de Weiss
- السيد اوخينيو أرييتا — Don Eugenio Arrieta
- السيدة جومرسيندا جويكوتشيا — Dona Gumersinda Goicoechea
- السيد خوسيه دواسو اى لاترى — Don Jose Duasoy Latre
- خفاش ، وشاويش ملكى متطوع
- ذو قرون ، ومتطوع أول
- المخربة الأولى ، والمتطوع الثانى
- المخربة الثانية ، والمتوع الثالث
- قطة ، والمتطوع الرابع
- صوت ماريا ديل روساريو ويس
- أصـوات أخـرى

تقع الأحداث فى مدريد فى شهر ديسمبر من عام ١٨٢٣ .

اليمين واليسار بالنسبة للمشاهد .

عرضت هذه المسرحية للمرة الأولى عام ١٩٧ على مسرح الملكة فيكتوريا فى مدريد .

(**تنبيه**) كل كلمات الحوار الموضوعة بين قوسين تتحرك بها شفاه الشخصيات فى صمت دون النطق بها ، ووظيفتها فى النص توجيه الممثلين فى أدائهم لأدوارهم فحسب ، وبوسع المخرج اختيار بعض النصوص المساعدة الأخرى التى يرى ان المشاهد لا ينبغي أن يسمعها . وجميع جمل الحوار التى وضعناها بين علامتى تنصيص

هى بالفعل من كلمات « جويا » تاريخيا . أما الفقرات التى وضعت بين معقوفتين فقد حذفت من العرض لقصره على الزمن المألوف فى المسرح .

* * *

الجزء الأول

المنظر يوحي على الفور بالصالتين اللتين زينهما جوبا من منزله بمجموعة لوحاته المسماة « الرسوم السوداء » وهما صالة بالدور الأرضي وأخرى بالطابق العلوي ، يستطيع المشاهد من خلال فرجة الباب المائل قليلا الجانب الأيمن أن يلمح بسطة سلم وسلما داخليا ، على اليسار صالة أخرى بجوار الحائط المواجه سلم قصير يعتليه الرسام عندما يمارس عمله في فوق الحوائط . وصندوق تتكيء عليه بندقية صيد وتتراكم فوق غطائه أواني الألوان وقوارير الزيت والطلاء ولوحة الألوان وأنواع الفرش المختلفة . لوحة صغيرة مسندة للحائط وظهرها للمشاهد . على اليسار في البعد الأقرب تقوم منضدة رسم صفت فوقها مشروعات اللوحات والأوراق والحوافظ والأقلام وجرس فضي وساعة منضدة ، ومن خلفها كرسي وعلى يمينها كرسي آخر . وعلى اليمين في البعد الأقرب منصـــة مستديرة عليها مجمرة تحوطها الكراسي وأريـــكة واحدة ، تتناثر بعض المقاعد الأخرى في أركان الصالة .

(تلف المكان ظلمة شاملة ثم يتزايد الضوء ببطء على البقعة القريبة من المسرح حتى يغمر رجلا يجلس على مقعد فخيم وقد استغرق في مهمة طريفة ، إذ يقوم بتطريز إطار في يده بدقة وتكلف شديدين ، وعندما تتسع دائرة الضوء نلحظ على يساره رجلا واقفا وعلى يمينه مائدة صغيرة فوقها سلة تطريز ومنظار ومسدس . أما الرجل الجالس فهو الملك فرناندو السابع وقد بلغ من العمر ٣٩ عاما ويرتدي حلة داكنة

ويلمع على صدره وسام معدني ، يبدو الملك قويا فتيا ممتلىء الساقين . شعر عارضيه الأسمر يحدد وجنتيه المكتنزتين ، وتغطى الخصلات الأمامية من شعره الأشعث أعلى جبهته . وتحت حاجبيه الكثين تلمع حدقتا عينيه السوداوين الحادتين ، أنف غليظ متهدل يعلو شفاها دقيقة تكاد تختفى تحت لحيته وأن لم تفقد عادة ابتسامتها . الرجل الذى يقف بجواره هو السيد فرانثيسكوتاديو كالوماردى الذى يبلغ من العمر حوالى ٥٠ عاما ويرتدى حلة داكنة هو الآخر وشعره مبعثر فوق جبهته العريضة ، وتلمع عيناه الصغيرتان بالمكر والدهاء .)

كالوماردى : إن جلالتك تطرز باحكام ومهارة شديدة .

الملك : هذا من فضلك ياكالوماردى .

كالوماردى : بل هو الحق ياسيدى ، يالها من أصباغ دقيقة عذبة !

الملك : لقد تمرست على ذلك في « فالينساى » لأهدأ وأتعود الصبر في المنفى (سكتة قصيرة) قد يكون من الخير أن يتعلم جميع الأسبان التطريز ، لعل هذا يهدىء من طباعهم .

كالوماردى : (بجد بالغ) تصبح عندئذ تربية مسيحية صالحة ، هل تريد جلالتك أن تملى قرارا بذلك .

الملك : (ضاحكا) لم تصبح وزيرا بعد ياتاديو (عدة غرز) ماذا يقولون في مدريد ؟

كالوماردى : الحمد والشكر لجلالتكم ، فأن أحكام الإعدام والنفى الضرورية التى أمرتم بها قد قضت على رؤوس الأفعى من عصبة المتحررين ، أما الوطنيون فقد [تنفسوا الصعداء] وأيقنوا أنه قد قضى على الشر . بشرط أن تظل قبضتنا قوية .

الملك : ستكون قبضتنا قوية لكن دون حاجة الى محاكم التفتيش ، اذ أنني لاأريد أن أعيدها الآن .

كالوماردى : الوطن يطالبكم بها ياسيدى .

[الملك : القسس هم الذين يطالبون بها ، وقد أسرفوا في استخدامها منذ عام ١٤ حتى عام ٢٠ بلا حدود لخدمة مآربهم السياسية حتى أصبحت غير شعبية .

كالوماردى : إن هذه الأعوام الستة المباركة لم تصل أبدا في فقدانها للشعبية الى ما وصلت إليه الأعوام الثلاثة التالية التى حفلت بالاضطرابات الدستورية ، ففى رأيي المتواضع ياسيدى ينبغى لجلالتكم أن تأمروا قبل أن ينتهى عام ١٨٢٣ بتجديد مايكفل محو جرائم هؤلاء المتحررين لكى يشير إليه التاريخ بعد ذلك باعتباره العام الأوفي الذى أرادت فيه العناية الإلهية أن تعيد لكم السلطة المطلقة التى كان يتمتع بها أجدادكم .]

الملك : (يضحك) لهذا السبب نفسه ، فلكى تكون سلطتى مطلقة لاأريد محاكم التفتيش .

[كالوماردى : ربما فيما بعد . .

الملك : (يضحك مقهقها) ربما فيما بعد تصبح وزيرا ، عليك بالصبر وعلى محاكم التفتيش أن تلتزم معك بالصبر .]

كالوماردى : (يتنهّد) ان شاء الله يكون عام ١٨٢٤ مطرقة قاصمة على رأس هؤلاء « السود » و« الماسونيين » من كل نوع .

[الملك : تأكد من هذا .

كالوماردى : سيدى . . إننى اهتديت إلى ضرورة إصدار قرارين آخرين في غاية الأهمية . . لو تفضلتم جلالتكم بالموافقة عليهما للعام القادم . . .]

الملك : (يرفع يديه مقاطعا ببرود) عم يتحدث الناس أيضا ؟

كالوماردى : (برفق) عن الكتاب الأخضر ياسيدى (الملك ينظر إليه) بالرغم من أن أحدا لم يره بعد . .

الملك : لكنه يوجد .

كالوماردى : إذن . . لماذا يظل محفوظا ياسيدى ؟

الملك : إنه قائمة بأسماء من مسوا شخصى .

[كالوماردى : ويستحقون بالتالى عاجل العقاب .

الملك : (باسما) لكى نفتل حبلا لابد من وقت كاف .]

كالوماردى : [تروعنى فطنة جلالتكم ياسيدى . . الآن أدرك أن] جلالتكم تفضلون تجميع الشواهد . .

الملك : شىء من هذا القبيل .

كالوماردى : (بعد لحظة يمد يده بورقة مشمعة مفضوضة) مثل هذا ؟

الملك : (يتناول الورقة) ماذا تعطينى ؟

كالوماردى : خطابا صادرته الرقابة ياسيدى .

(الملك يقرأ ويتغير لونه ثم يستغرق في التأمل لحظة)

الملك : هل حضرت أنت تنفيذ حكم الإعدام في رييجو ؟

كالوماردي : منذ شهر ياسيدي .

الملك : (يضع الخطاب على المنضدة الصغيرة) حدثوني بروايات كثيرة عن هذه الواقعة .. فما هي روايتك ؟

كالوماردى : كان يوما رهيبا . . خرجت جموع الشعب كلها في مدريد تهتف باسمكم المفدي عند مرور هذا المجرم في غبيط يجره حمار .

الملك : كما لو كان في لوحة من رسم جويا .

كالوماردى : (ينظر إليه بفضول) تماما ياسيدى . . وقد صعد رييجو على منصة المشنقة باكيا مقبلا العتبات وطالبا الصفح مثل امرأة خاطئة .

الملك : [هل كان كذلك ؟] هل رأيته أنت ؟

كالوماردى : وجميع أهل مدريد معى .

الملك : إذن فقد أدركه الهلع .

كالوماردى : كان قد عدل عن موقفه كتابة .

الملك : بالتعذيب ؟

كالوماردى : (يخفض بصره) ولو كان هنالك شيء من هذا لما شعر بـــه فقد سحقه الخوف . . سحق الخوف « بطل » الزعماء وثرثار المجلس النيابي .. وقائد التافهين .. وعند مروز غبيطه كان الدهماء يسخرون منه ويبصقون أنوفهم . .

الملك : (باشارة تنم عن الاستهزاء) ادخر التفاصيل .

كالوماردى : لماذا لانقول ياسيدى بان أمجاد المتحررين قد انتهت باسهال ؟

الملك : لأنهم ليسوا جميعا جبناء هكذا .

كالوماردى : ربما كنتم جلالتكم تشيرون إلى كاتب هذا الخطاب

الملك : إن من يكتب اليوم بهذه الطريقة إما أن يكون أبله أو في منتهى الشجاعة .

كالوماردى : بل هو مريض بلا عقل ياسيدى . . مثل تلك الشرذمة الضالة من شعراء ورسامين . . ويكفى أن نتذكر كم منهم فر إلى فرنسا .

الملك : هو لم يفعل ذلك .

كالوماردى : إنه قد اختبأ في منزله الصيفى على الضفة الأخرى من النهر ، مثل طفل يغلق عينيه ويظن أن عيون جلالتكم لايمكن أن تصل اليه . ومع ذلك فمن هذه الشرفة نفسها يمكنكم أن ترقبوا هذا المنزل بالمنظار .

(يمد له يده بالمنظار يزيح الملك الرقعة المطرزة جانبا وينهض واضعا المنظار على عينيه وناظرا إلى الأمام)

الملك : في هذه الضيعة القريبة من قنطرة شقوبية ؟

كالوماردى : المنزل الثاني على اليسار .

الملك : لايكاد يبدو من الأشجار المحيطة به . . ومنذ أن عدت الى مدريد لم يحضر ليقدم فروض الطاعة .

كالوماردى : ولاليتقاضى راتبه ياسيدى ، إنه لايجرؤ على المثول

الملك : ترى ماذا يفعل ؟

كالوماردى : يرتجف .

الملك : هذا الفلاح الجلف لايرتجف بسهولة . فقد كان دائما متكبرا ، فعندما طلب منه أن يرسم وجه زوجتى الأولى في لوحته عن العائلة المالكة أجاب بأنه لايمد يده للوحة فرغ منها .

كالوماردى : هذا غير معقول .

الملك : كانت هذه ذريعته . . أما السبب الحقيقى فهو أنه قد أصبح يكرهنى . ومن الطبيعى أننى دفعت له بنفس العملة ، ولم يرسم لى سوى صور قليلة ، أما زوجاتى فلم يرسمهن على الإطلاق .

كالوماردى : هذا عقاب هين ياسيدى ! أما ذلك الخطاب . .

الملك : لابد من التفكير فيه .

كالوماردى : ليس رساما عظيما كما يقولون عنه ياسيدى ، فرسومه خاطئة وألوانه فاسدة . . (الملك يضع المنظار) صوره الملكية لانبل فيها ولاجمال . . لوحاته غادرة ضد الأسرة المالكة وضد الكنيسة . . أما الفنان العظيم فهو « بيثينت لوبيث »

الملك : وانى أفضله منذ عام ١٨١٤ .

(يجلس)

كالوماردى : هكذا أجزتم جلالتكم سمو ذوقه وفضائله ، إذ أن « لوبيث » أيضا فنان فاضل . فلوحاته تعطى صورة صادقة لعظمة النماذج التى يتصدى لها ، وعندما تمر القرون سيكون بوسع جلالتكم أن ترقب

من علياء السماء خلود اسم « لوبيث » وشهرته ومانالله هذا المهووس الآخر من نسيان يستحقه اللهم إلا إذا تذكروه . بمناسبة العقاب الرادع الذى تنزله جلالتكم به .

الملك : يالك من قاس ياتاديو ! هل أساء إليك في شيء ؟

كالوماردى : أقل بكثير من إساءته في حق جلالتكم . . لقد رفض أن يرسم صورة لى (الملك ينظر إليه مليا) [بالرغم من أن رسومه لاتعجبنى . إلا أننى أردت أن أتفضل عليه بذلك . . فادعى هذا السفيه أنه لاوقت لديه] لكن قسوتى لاشأن لها على الإطلاق بهذه الصغائر . . فانني أكره فيه عدو الملك والوطن .

الملك : (باسما) أية عقوبة تود لهذا المستشيط غضبا وغيظا ؟ ميتة مثل ميتة رييجو ؟

كالوماردى : (بنعومة) إن جلالتك الذى تذكرت ذلك عند قراءة الخطاب .

الملك : (يعود للتطريز) لكن مكانته عظيمة . .

كالوماردى : هذه الورقة تستحق المقصلة (لحظة صمت ، ينحنى مرة أخرى لكى يتأمل الطراز) ماأروع هذه الخيوط الخضراء ياسيدى . . إن التطريز أيضا رسم . (باسما) جلالتكم تفوقون في الرسم هذا الشيخ بكثير .

[الملك : إذن فالسجن أفضل ؟

كالوماردى : السجن أولا ثم يأخذ العدل نصابه بعد ذلك .]

الملك : (بعد هنيهة) من هو المرسل إليه ؟

كالوماردى : هو « مارتين ثاباتير » ياسيدى ، وهو صديقه منذ الطفولة .

الملك : هل هو ماسونى ؟ أم من الجماعات الخارجة ؟

كالوماردى : ليس لدينا علم بذلك ياسيدى . ونحن نبحث الأمر الآن .

[الملك ماأدق النوّار في التطريز . . فلابد من مزج ألوان مختلفة . . وأصعب مافيها هو رقتها ونعومتها .]
(نبدأ في سماع نبض قلب مكتوم)

[كالوماردى : يالها من مهارة ، لايستطيع أن يعبر بهذه الطريقة عن نضارة الأزاهير سوى الروح النبيل] . (يبتسم الملك منتشيا من الاطراء ، لكنه لايلبث أن يرفع رأسه قلقا ، تشند نبضات القلب وتتوالى بسرعة حتى تبلغ ذروتها في ثلاث أو أربع دقات هائلة تعقبها عدة دقات أخف وأهدأ ، ينهض الملك قبل أن ينتهى الضجيج ويتراجع الى اليمين ، صمت)

الملك : ماهذا الضجيج ؟

كالوماردى : (حائرا) لاأعرف ياسيدى .

الملك : اذهب وتقصى الأمر .

(يخرج كالوماردى من الناحية اليسرى ، الملك يمسك بمسدسه ، يعود كالوماردى)

كالوماردى : لم يسمعوا شيئا في الصالة الخارجية ياسيدى .

الملك كانت ضجة شديدة أليس كذلك ؟

كالوماردى : (مترددا) ضجة . . . واهنة .

الملك : واهنة ؟ (يترك المسدس ويجلس ، ثم يمسك بالرقعة المطرزة) قل لهم يضاعفون الحراسة هذه الليلة .

كالوماردى : سمعا وطاعة ياصاحب الجلالة .

الملك : (يطرز ثم يتوقف) لست أريد ديوكا شرسة محاربة بل مواطنين مسالمين يرتجفون ، وبحر من العويل على كل من تسول له نفسه أن يتطاول على شخصى .

كالوماردى : (بهدوء) هذا هو العدل ياسيدى .

(يستأنف الملك التطريز)

الملك : اسمع ياكالوماردى ، هذا أمر سرى ، قل للقائد العام للمتطوعين الملكيين أن يمر غدا لرؤيتى في الساعة العاشرة .

كالوماردى : (بهدوء) سأقول له ياسيدى .

الملك : (بعد لحظة) وقل هذا أيضا للسيد خوسيه دواسو إى لترى . . (يصمت)

كالوماردى : للأب دواسو

الملك : قل له انى أنتظره أيضا .

كالوماردى : في نفس الساعة ؟

الملك : بل في ساعة أخرى ، حتى لايرى أحدهما الآخر . في الثالثة مساء .

كالوماردى : طبعا ياسيدى .

الملك : (مطرزا) أليس الأب دواسو من إقليم أراجون ؟

كالوماردى : بلى ياسيدى ، هو أراجونى مثلى (سكتة قصيرة) ومثل السيد فرانثيسكو دى جويا إى لوثيينتس .
(يتبادلان النظرات . يبتسم الملك ويعكف على تطريزه . يهبط الظلام ببطء . وعندما يعود الضوء ينير في المستوى الأول كهلا يمسك بمنظار ويوجهه ليرى من خلاله الى الأمام . وفي عمق المسرح تعرض ببطء لوحة « اجتماع الساحرات » تتبين شعر الكهل وسوالفه البيضاء . ونستوضح قامته التى تميل للقصر وان كانت تبدو عليه سيماء القوة والصلابة . يرتدى معطفا قديما مليئا ببقع الرسم . وعندما يخفض المنظار نكتشف فيه ملامح الرسام « فرانثيسكو دى جويا » المتجهمة التى لاتخطئها العين . يعود الفنان العجوز ليرى من خلال المنظار ، ثم يتنفس بعمق ويتجه الى المنضدة حيث يترك المنظار ويمسك بنظارته العادية ويعلقها فوق عينيه ، يلتفت ويرمق اللوحة المعروضة على الجدار الخلفى للمسرح بضع لحظات ثم يقترب من الصندوق حيث يتناول لوح الألوان والفرش ويصعد بعض درجات السلم ويطبع بعض الرتوش واللمسات على لوحة « اجتماع الساحرات» وفجأة يسمع مواء قطة ، فيتوقف جويا دون أن يدير رأسه ولايلبث أن يستأنف رسمه ، مواء آخر يتوقف الرسام مرة أخرى ، ثم يتوالى صوت المواء الصادر من قطتين أو ثلاث في نفس الوقت ، يهز جويا رأسه ويضغط على إحدى أذنيه بيده الخالية ، صمت ، يهبط جويا درجات السلم ويترك مافي يده

ويتقدم باحثا في الأركان ، مواء طويل يضطره الى النظر الى أحد الأبواب ، صمت ينتزع الرسام نظارته ويلقيها على المنضدة ويخلع معطفه وينادى بصوته الأجش اللائق به كأصم . .)

جويا : ليو ، (سكتة قصيرة) ليوكاديا ! (يمضى الى الأريكة ويمسك بسترته) ألا يوجد أحد بالمنزل ؟ (يرتدى السترة ويذهب الى الباب الأيسر) نينا . . ماريكيتا ! (ينتظر قليلا بلهفة ، تسمع ضحكةطفلة عمرها تسع سنوات ، ضحكة فاترة بعيدة غريبة . تتلاشى الضحكات ، يعود جويا مضطربا الى وسط المسرح ويضغط على أذنيه مرة أخرى . وبطريقة خاطفة مغيظة صامته يمسك بجرس المنضدة ويهزه عدة مرات دون أن ينبعث منه أي صوت ، تدخل السيدة « ليوكاديا ثوريا » من اليمين وعليها دلائل الغضب وهى تتمتم بكلمات غير مسموعة ، وهى أنثى في الخامسة والثلاثين من عمرها لاتخلو من جاذبية وان لم تكن جميلة ، سوداء الشعر ، متعجرفة مثل بقية أهل اقليم الباسك وتتميز ببنيان عضوى قوى ، وعينان متوقدتان تحت حاجبين سوداوين)

ليوكاديا : (ماهذه الأصوات ، علام العجلة ؟ هل لدغك عقرب)

جويا : (بحدة) ماذا تقولين ؟ (تتنهد ليوكاديا — على أن لايسمع أيضا لذلك صوت — وتبدأ في الإشارة ببعض العلامات التى تستخدم في الحديث الى الصم

بيدها اليمنى على طريقة « بونيت ») لم يلدغنى أى عقرب ، أين البنت ؟

ليوكاديا : (تشير الى اليسار) (هناك في الداخل)

جويا : تكذبين [لقد ناديتها وهى لاتجيب] الى اين أرسلتها ؟

ليوكاديا : (بدون اضطراب لتغيير ماقالته) (لتتنزه)

جويا : (بغضب) بيدك !

(تشير ليوكاديا عدة اشارات سريعة وتصيح في نفس الوقت دون أن يسمع لها صوت بغضب)

ليوكاديا : (لتتنزه)

جويا : لتتنزه ؟ [في هذه الأيام ؟] (يمسكها من معصمها) هل جننت ؟

ليوكاديا : (تتملص منه) (دعنى)

جويا : لايبدو عليك أنك أمها ، بالرغم من أنها ابنتك وعليك أن تسهرى على حماية أبنائك ، لقد انتهت بالنسبة لك السهرات الراقصة [والتنزه على الخيل] وهز الأرداف .

ليوكاديا : (تتكلم في نفس الوقت دون أن تتوقف) (أنا كذلك وأعرف ماذا أفعل ، وأرسلهم الى حيث يروق لى ، دعنا من ذلك ، لست أنت الذى تعطينى دروسا . .)

جويا : (ينفجر صائحا اثر حركات يدها وتعبيرات فمها) كفاك تعويجا (تبتعد ليوكاديا بازدراء وترسم علامات

مختصرة) لننته من هذا يا امرأة، لكن حديقة الخضراوات ليست هى المكان الآمن لها أيضا إن لم يكن برفقتها أحد (إشارات من ليوكاديا) أخوها ليس إلا طفلا آخر (يمشى بحدة الى اليمين) أين وضعت قبعتى وعصاى ؟ (تشير الى اليمين ، وعندما يهم جويا بالخروج يسمع مواء قطة ، يتوقف الرسام العجوز ويعود لينظر الى المرأة التى تسأله بحركة من رأسها)

ليوكاديا : (الى أين تذهب)

جويا : لا أستطيع أن أرسم اليوم ! (يهم بالخروج لكنه يتوقف مرة أخرى) أين القطط ؟

ليوكاديا : (تأتى بعدة اشارات باهتمام شديد) (في المطبخ)

جويا : هل رأيتها في المطبخ ؟ (تهز رأسها موافقة بدهشة) طبعا ، أين ستكون ؟ وداعا . (يخرج ، تندفع ليوكاديا نحو الباب وترصد . تأتى بعد ذلك باشارة معينة فيدخل الدكتور أريبتا على استخفاء وقبعته وعصاه في يديه ، عمر الدكتور « إوخينيو جارثيا أريبتا » يتراوح بين الخامسة والخمسين والستين . لكنه رجل متين البنيان على ضموره ، ذو شعر أشقر ضارب الى اللون الرمادى وإن كان الصلع قد بدأ يغزو رأسه فأخذ يخفيه بتمشيط شعره الى الأمام ، ذو جمجمة كبيرة وهيئة نحيلة كأنه زاهد ، نظراته عذبة حزينة معا ، يهم بالكلام لكن « ليوكاديا » ترجوه الصمت حتى يسمع صوت الباب من بعيد وهو يغلق)

أريبتا : ماكان يجب أن تدعيه يخرج .

ليوكاديا : كنت أريد أن أتحدث أولا معك (تتجه الى الأريكة وتجلس عليها) أرجو أن تتفضل بالجلوس ياسيد إوخينيو .

أريبتا : (يجلس على أحد المقاعد) شكرا ياسيدتى ، وكيف حال « ماريا ديل روسارزيو » « وجيير ميتو » . ؟ لعلهم بخير .

ليوكاديا : بخير والحمد لله. الآن ليسا في المنزل (تحرك المجمرة) ستهطل الثلوج ليلة عيد الميلاد من هذا العام .

أريبتا : ماذا حدث للسيد فرانثيسكو ؟

(تعرض على يسار لوحة « اجتماع الساحرات » لوحة « زحل »)

ليوكاديا : لقد عالجته يادكتور منذ أربع سنوات ، فعالجه لى الآن يادكتور !

أريبتا : مم أعالجه ؟

ليوكاديا : ليس شيئا ظاهرا .. ولاآلام ، ليس عنده رشح ولاحرارة ، لايعانى إلا من الصمم ، لكنك تعرف هذا منذ فترة (تفرك يديها) وهذا هو السبب بالذات لأنك تحملت مشقة تعلم لغة الاشارة اليدوية منذ أربع سنوات . . عليك أن تتحدث معه كثيرا حتى تعالجه . . وهذا صعب . .

أريبتا : اهدئى ياسيدتى واحكى لى .

(إلى جانب لوحة « اجتماع الساحرات » تعرض لوحة « جوديث »)

ليوكاديا لايكاد يخرج ولايتكلم . . منذ عامين .

أرييتا : منزو . . نافر . . هذا ليس مرضا .

ليوكاديا هل تأملت اللوحات المعلقة على الحائط ؟

أرييتا (ينظر إلى اللوحات المعروضة على الجدار الخلفى) هذه اللوحات ؟

ليوكاديا وكل اللوحات الأخرى في الطابق الثانى . . هو الذى لم يكن أبدا يلمس لوحة فرغ منها . . لايكف الآن عن إعادة رسمها . مارأيك فيها ؟

أرييتا : غريبة .

ليوكاديا : إنها شنيعة . (تنهض وتسير في الحجرة)

[أرييتا : كنا نرى في رسومه الصغيرة أشياء مماثلة

ليوكاديا : ليس بهذه الطريقة] لوحات عجوز مريعة .

أرييتا : السيد فرانشيسكو عجوز فعلا .

ليوكاديا : (تتوقف وتنظر اليه) عجوز يخرف .

أرييتا : (ينهض ببطء) هل تلمحين الى أنه قد جُنّ ؟ (تغمض عينيها وتهز رأسها ايجابا) علام تعتمدين في هذا الحكم ؟ على تلك اللوحات فقط ؟

ليوكاديا : (تنصت) اسكت من فضلك (صمت) ألا تسمع شيئا ؟

أرييتا : لا .

ليوكاديا : (تخطو بضع خطوات ناحية اليمين) لعلها القطط في المطبخ . . (تعود) إنه لايكاد يتحدث معى ، لكنه يتحدث مع . . أحد غير موجود ، أو يضحك بدون سبب ، أو ينفجر في الشتائم يوجهها لأشخاص غير مرئيين . .

أرييتا : (يترك عصاه وقبعته على المقعد ويتقدم نحوها) بالطبع هناك جنون صحى ، إذ أن ماتحكينه ياسيدة ليوكاديا ليس إلا بعض الأعراض التى يصاب بها الصمّ وحديثهم لأنفسهم (ينظر الى اللوحات) محبوس هنا خلال سنوات . . وأى سنوات . . أحلامه كوابيس لاأظن أنه جنون ، بل على العكس إنه على طريقته يتفادى بذلك المرض .

(يمضى نحو الجدار الخلفى ويتوقف أمام لوحة زحل)

ليوكاديا : انظر الى هذه ، أليست مزعجة ؟

أرييتا : (أمام لوحة اجتماع الساحرات) الشيطان والساحرات انه لايؤمن بالساحرات ياسيدتى ربما كانت هذه اللوحات مزعجة ، لكنها ليست رسوم مجنون ، بل ناقد ساخر مرير .

ليوكاديا : هذه الرسوم تشير الىّ .

(يتوقف أرييتا أمام لوحة « جوديث » وينظر الى ليوكاديا)

أرييتا : اليك أنت ؟

(تتحول لوحة اجتماع الساحرات الى لوحة « أسموديا »

ليوكاديا : (تهز رأسها ايجابا) يقول انني ساحرة ، تمتص دمه انظر الى هذه اللوحة الأخرى (يواجه أرييتا لوحة « أسموديا ») تحمل المرأة الرجل الى اجتماع الساحرات وهو يذهب فزعا معها وقد سد فمه بحجر ملعون ، أما المرأة فهى أنا (في هذه الأثناء تستحيل لوحة زحل الى لوحة الفضوليات ، فيتأملها أرييتا) لابد لكى تدرك ما آل اليه أمره أن تعيش معنا .

أرييتا : هذا المنظر يشير أيضا اليك ؟

(تعود ليوكاديا وتصمت عند رؤية اللوحة)

ليوكاديا : لاأعرف .

(فترة صمت ، ينظر أرييتا الى اللوحة ويلاحظ ليوكاديا)

أرييتا : (باهتمام) ماذا يفعلون ؟

[ليوكاديا : (تتمتم) انه لم يقل عن ذلك شيئا . .

أرييتا : لكن بوسعك أن تتوقعى . . (صمت) أم لا ؟]

ليوكاديا : (بعد لحظة) أعتقد أنها . . لوحة قذرة .

أرييتا : قذرة ؟

ليوكاديا : (يجتاحها الحياء فجأة) ألا تدرك ذلك ؟ أنهن فتاتان تعبثان . . وهذا الأبله المسكين .

(بدهشة شديدة ، يعود أرييتا لتأمل اللوحة ثم ينظر مرة أخرى بتمعن الى لوحتى «أسموديا» و «جوديث» تخفض ليوكاديا بصرها ، يذهب أرييتا الى جانبها)

أرييتا : هل تغفرين لى أن أذكرك بسر قديم ؟

ليوكاديا : (بصوت واهن) الى أى شىء تشير ؟

أرييتا : منذ ست سنوات استدعيت إلى مسكن دون فرانثيسكو الآخر ، وكنت أنت المريضة (تبتعد ليوكاديا وتتجه الى الأريكة) بعد ثلاثة شهور من الحمل العسير فقدت جنينا كان في طور التكوين ، وكان علىّ أن أوقف نزيفا حادا لو وقع في يد أخرى غير مدربة لما استطاعت تفاديه .

ليوكاديا : (تجلس وقد خارت قواها) أقسمت له حينئذ أن الإجهاض لم يكن إراديا (تنظر اليه) أنا أعرف أن هذا لم يكن من السهل تصديقه ، فقد انفصلت عن زوجى منذ عام ١٨١٢ وكان هذا الجنين يعنى طعنة في عرضى ، لكننى لم أكن على الاطلاق لأحطم طفلا من لحمى ودمى .

أرييتا : (ببرود) لقد تذكرت هذا لأن الطفل — كما اعترفت لى حينئذ والسيد فرانثيسكو نفسه — كان ابنكما ، فهل هذا حقيقى ياسيدتى ؟

ليوكاديا : أتريد أن أقسم لك ؟ لعلك لاتصدق أيمانى .]

أرييتا : [السيد فرانثيسكو كان عجوزا عندئذ] ماعمره الآن؟

ليوكاديا : عنده ست وسبعون سنة .

أرييتا : (بتردد) أتسمحين لى بسؤال حرج . . (تنظر اليه بقلق) متى انقطعت بينكما العلاقات الحميمة ؟

ليوكاديا : لم تنقطع .

منتديات مكتبة العرب
www.libraray4arab.com/vb

أرييتا : كيف ؟

ليوكاديا : لم تنقطع تماما على الأقل .

أرييتا : (يجلس بجوارها) لم تنقطع تماما ؟

ليوكاديا : (بصعوبة) فرانشو . . . معذرة ، فنحن نطلق عليه في العائلة فرانشو ، أعنى السيد فرانثيسكو كان [دائما عاطفيا جدا] أحد هؤلاء الرجال الذين يظلون فتيانا حتى بعد أن يطعنوا في السن . . وعندما كنت صغيرة لم أكن أصدق ذلك ، كنت أظن أنه مجرد تشدق من بعض الشيوخ المتحذلقين . وعندما بدأ يغازلنى تقبلت خطواته في هذا الصدد على سبيل الفضول والضحك . . ولكن حينما انتبهت لموقفى كنت قد أصبحت مثل الحمل الصغير في حلقوم ذئب كبير . . وكان يبلغ حينئذ أربعا وستين سنة .

أرييتا : والآن . . أكبر من ذلك بأثنتى عشرة سنة . . وهذا] كثير]

ليوكاديا : مازال يلتمسنى . . وان تباعدت الفترات كثيرا الآن ، ياإلهى ، تمر شهور كاملة وهو يتفادانى بالليل ولايكاد يكلمنى بالنهار . . لأنه . . لم يصبح في مثل ماكان عليه من قوة . .

(ينظر أرييتاالى اللوحاتبأسى ويستغرق في التأمل)

أرييتا : (بصوت هادئ) اسمعى ياسيدة ليوكاديا . . . (تنظر اليه بضيق شديد) هل هناك من الأسباب

مايجعلك تظنين أن السيد فرانثيسكو . . يجنى على صحته مثل هذا العجوز في اللوحة ؟

ليوكاديا : (تغض من بصرها) لاأعرف .

أرييتا : هل يمكننى أن أسأل ماهو عمرك الآن ؟

ليوكاديا : خمس وثلاثون سنة (سكتة قصيرة) اسكت من فضلك ، ألا تسمع شيئا ؟ (يرمقها أرييتا وهى تنهض وتذهب ناحية اليمين لتنصت) ربما كانت حركة الخدم .

أرييتا : سأفحص السيد فرانثيسكو ، لكنك أيضا تحتاجين بعض العناية الطبية . . اذ انى ألاحظ أنك قلقة . مكتئبة ، ربما لتغيير الجو . .

ليوكاديا : (بنشاط وعزم) إنه هو الذى يحتاج للرعاية . أما عنى أنا فأرجوك . . لن نتحدث أكثر من ذلك ، فجنون فرانشو هو بالذات في هذا الموقف ، يرفض أى تغيير للجوّ ، ولايخامره أدنى خوف .

أرييتا : لاأفهم .

ليوكاديا : (تسير في الحجرة بقلق متزايد) هل تعرف يادكتور ان أحد لايزورنا الآن ؟

أرييتا : المنزل بعيد جدا . .

ليوكاديا : هذه هى التعلّة ، أما الحقيقة فهى أن الجميع يعرفون أنه ينتمى الى الجانب المقهور وأنالملك يكرهه [ولهذا فلا أحد يزورنا . . ولاأحد يكلفه برسوم ، فالجميع يهربون من العاصفة التى ستهب يوما على هذا البيت.]

أرييتا : بالله عليك ياسيدتى !

ليوكاديا : تأكد أنى لاأبالغ . . . فهناك كل يوم من يذهب الى المنفى ، ومن يعذب ، ومن يشنق . . وفرانشو أحد الأحرار . . « أسود » كما يقولون . . ولن تأخذهم بهم رحمة في أسبانيا لأعوام طويلة . . فالمطاردة قد بدأت ، ولابد أن يأتى اليوم الذى يقتنصونه فيه ، وهو يدرك ذلك (تغيرّ لهجتها) وهو لايبالى ، يرسم ، يتشاجر مع الخدم ، يتنزه وعندما أضرع اليه أن يأخذ حذره واحتياطاته بأن يفر مثل أصدقائه يصرخ فيّ بأنه ليس هناك مايدعو لذلك ، أليس هذا جنونا ؟

أرييتا : ربما كان إرهاقا لأكثر . .

ليوكاديا : انه لايرهق مثلى .

اريتا : نوع آخر من الإرهاق .

ليوكاديا : لابد أن يصبح الانسان مجنونا كى لايرتجف ، أما أنا فعاقلة جدا ولهذا فإنى خائفة (تقترب من أرييتا) بُثّ في نفسه هذا الخوف الذى ينقصه يادكتور ، اجبره على الرحيل !

أرييتا : (ناهضا) إن بث الخوف في نفس شيخ مثله ربما كان قاتلا . .

ليوكاديا : (ببريق من الأمل الغريب في صوتها الموحى) إذن لاتفزعه قل له إنه يحتاج الى تغيير الهواء . . أو إلى بعض المياه المعدنية الفرنسية . .

أرييتا : سأفكر في الأمر ياسيدتى ليوكاديا (ينظر إليها بارتياب وهى تتنهد بكرب وتهم بالجلوس ، فجأة تخفض رأسها وتنفجر في نشيج حاد ، يقترب منها أرييتا وينظر إليها بحزن) أتشعرين بتعب ؟

ليوكاديا : لست أطيق شيئا (يسمع صوت الباب الخارجى وهو يغلق ، ترفع رأسها) الآن نعم سمعنا جلبة .

جويا : (صوته) ألم يمر موزع البريد اليوم أيضا ؟

ليوكاديا : إنه هو .

جويا : (صوته) أنت لاتعرفين شيئا أبدا.. (يقترب صوته) اذهبي الى المطبخ .

ليوكاديا : (بنظرات ضارعة) ساعدنا من فضلك .
(ينظران إلى اليمين ، حيث يدخل جويا ويتوقف عند رؤيتهما تنهض ليوكاديا)

جويا : الدكتور أرييتا (يترك في يد ليوكاديا العصا والقبعة فتضعهما على أحد المقاعد) كم كنا نفتقدك في هذا المنزل ؟ (يعانق الدكتور بحرارة) كصديق بطبيعة الحال ، أما كطبيب فبئس الأمر إن احتجنا اليك (يبتسم أرييتا ، تساعد ليوكاديا جويا في خلع سترة الخروج) تفضل بالجلوس، وأنت يا امرأة أحضرى لنا بعض كؤوس النبيذ الجيد (الدكتور يرفض) كيف هذا ؟ إن لم تكن تشرب فمن أجلى أنا ، أم أنك ستحرم على الشراب ؟ (أرييتا يرسم علامة تدل على الشك) إننى اقوى من الثور .

أرييتا : (ضاحكا) (هاأنذا أرى ذلك) (ويجلس)

جويا : حياة ريفية رغدة ياسيد إوخينيو إن هذه الربى تجلب الصحة ، سترى أن خدود ماريكيتا تتورد حمرة ، أوقد عادت من حديقة الخضراوات ياليو ؟ عند خروجى أطللت عليها ولم أرها (ليوكاديا تهز رأسها إيجابا بخفة) هل رأيتها يادكتور ؟ (أرييتا يهز رأسه سلبا) اذن فاحضريها يا امرأة واحضرى النبيذ (يبدو على ملامح ليوكاديا أنها تسأل عن شيء وهى ترسم بعض الاشارات ، تفقد لهجة جويا تدفقها السابق) لقد عدت من جانب القنطرة .

ليوكاديا : (بحركة معبرة) (لماذا ؟)

جويا : لقد أقاموا هناك دورية من الجنود الملكيين المتطوعين ويستوقفون الجميع .

ليوكاديا : (تقترب منه بقلق) (لم تكن هناك من قبل)

جويا : ربما أقاموها اليوم (تسأله عن شيء بإشارة من يدها) ماذا يدريني إن كانت ستظل ، لكنني لاأطيق وجوههم الكالحة الشريرة ولاضحكاتهم ، وماكان لى أن أقول لهم إنني أصم إن لم أفهم مايقولون ، لهذا عدت . أوكنتِ تريدين أن أتشاجر معهم (هى تستنكر بسرعة) احضرى النبيذ ، فالدكتور ينتظر . (توافق بهزة من رأسها وتمضى الى اليسار) اسمعى (تتوقف) أولم يأت ساعى البريد (تجيب سلبا وتخرج ، يجلس جويا (ويقلب المجمرة ، تتحول لوحة « الفضوليات » إلى لوحة « ليوكاديا » و « اسموديا »

الى « الوظيفة المقدسة ») هل قالت لك إننى مريض وأننا يجب أن نرحل الى فرنسا ؟ (ينظر إليه أرييتا فاغرا فاه من العجب ، فيضحك) تحلم بفرنسا ، فقد أصابها السأم هنا (مستثارا) لكن ، لأى سبب ينبغى لى أن أرحل ؟ هذا بيتى وهذا وطنى ، لم أعد أذهب الى القصر ، فالأبعد الراغم لاترضيه رسومى ومنذ عشر سنوات وقد توفر على الرسم له هذه الدابة المسماة « بيثنت لوبيث » المنافق المداهن . . وهذا أفضل ، أما أنا ففى منزلى ، دون أن يتذكرونى ، أرسم مايحلو لى . . ماذا يقول الناس في مدريد ؟ (يفتح أرييتا ذراعيه علامة الفزع) لا ، لاتقل لى شيئا ، وشايات ، ومطاردات ، آه يااسبانيا . .ليس من السهل ان نرسم ، لكننى سأرسم ، هل تأملت اللوحات على الحوائط ؟ (يتفادى أرييتا الاجابة ويسأل بالاشارة عن شيء آخر) خوف ؟ لا (يفكر لحظة) ربما كان حزنا ، (نبضات قلب واهن ، جويا يحس بها) لا ، خوف ، لا (تعود ليوكاديا بجرة من الخزف وكأسين مليئين على صينية ، ينهض أرييتا ويتقبل أحد الكأسين بانحناءة . تستحيل لوحة « جوديث » الى « الراهبين » يتناول جويا الكأس الآخر) هذا النبيذ يذهب بالأحزان يادكتور ، في صحتك (يتبادلان النخب ويشربان ، تضع ليوكاديا الصينية على المائدة ، تخفت نبضات القلب فجأة كلما شرب الفنان كأسه ، تقترب ليوكاديا من

مقدمة المسرح وتتطلع الى اليمين من الشرفة غير المنظورة) ماألذه ! هه ؟

أرييتا : (يهز رأسه موافقا) (كم هو لذيذ)

جويا : لقد أرسل لى هذا الزق « مارتين ثاباتير » كى أصفح عنه لأنه لم يأت ليقضى معنا عدة ايام . . فهو دائما مربوط بسرقسطة . . (يتوقف فجأة ويصرخ بحدة تذهل الدكتور وليوكاديا) علام تنظرين ؟

ليوكاديا : (تصاب برجفة) (إلى الـ . . قنطرة)

جويا : ليس هناك مايجب أن تنظرى إليه عند القنطرة .

ليوكاديا : (بدهشة) (ولم لا ؟)

جويا : احضرى الأطفال حتى يراهم الدكتور (تتمتم ليوكاديا في سرها ببضع كلمات واهنة وتخرج من الناحية اليمنى بعد أن تشير بحركة وجلة الى الدكتور أرييتا من خلف ظهر الفنان . لم تتوقف نبضات القلب ، وجويا يضغط على أذنيه باصبعه في قلق ، ثم يترك كأسه على الصينية ويقترب من الحائط الخلفى) اقترب ياسيد إوخينيو ، مارأيك ؟ (يقترب أرييتا محتفظا بكأسه في يده ويتجرع منه رشفة علامة الاستحسان ، ينظران الآن الى لوحة « الوظيفة المقدسة ») ألا يشبهون الحيوانات ؟ إنهم ينظرون إلينا دون أن يدركوا مدى قبحهم . ينظرون الىّ .

أرييتا : (اليك ؟)

جويا : مثلما حدث عندما شكونى الى محكمة التفتيش كانوا

ينظرون الىّ بعيون حشرات كأنى حشرة ، لأنى رسمت امرأة عارية ، إنهم حشرات يظنون أنفسهم أشخاصا ، نمل يحيط بالملكة البدينة (يضحك) وهى هذا الراهب البطين (يسأل أرييتا عن شىء بالإشارة) [الى نبع القديس إيسدرو كى ينتفخوا بماء المعجزات الذى لم يأت بأية معجزة على الاطلاق وهى في غاية الاغتباط ، إنها طريقتهم في العلاج بالماء] يبدو لهم أن الجو جميل لكننى أرى أنه مكفهر (يشير أرييتا الى يسار اللوحة) أجل ، على طرف الأفق تسطع الشمس ، هناك على قمـــة الجبـــل لكنهم لايرونها (يأتى أرييتا بعدة إشارات ، يتردد جويا) جبل أنا أعرف أنه موجود (يخفت صوت النبض قليلا قليلا حتى يتوقف ، يحرك جويا إحدى أذنيه وينصت دون جدوى ، ينظر اليه أرييتا ويمضى إلى اليمين كى يسأل بالإشارات عن شىء في لوحة « الراهبين ») [ربما كانا راهبين] ، كلنا رهبان في هذا الدير .

أرييتا : (بالإشارة) (ماذا يفعلان ؟)

جويا : هذا الملتحى هو أيضا أصم ، لاأحد يعرف ماذا يقول له الآخر ، بالرغم من ان الملتحى قد يسمع بعض الشىء . . (يتجه الى اليسار ثم يعود) أم لا ؟ (يشير أرييتا إشارة تدل على الحيرة ، ينظر اليه جويا بطريقة ملغزة ، ثم يلتفت الى اللوحة ، يشير أرييتا الى اللوحة المعلقة على الجانب الأيسر والتى

يدير لها جويا ظهره سائلا عن شيء مابإشارة مقتضبة)
نعم ، إنها ليوكاديا ، في منتهى التفاخر ، في مقبرة .

أرييتا : (ماذا ؟)

(يسمع مواء قطة ، ينظر العجوز الى الأركان)

جويا : هذه الصخرة التي تتكئ عليها إنما هي مقبرة (مواء يصمت جويا لحظة ثم يتابع حديثه) هنا أدخلت زوجها ثم أدخلتني (يضحك) [فكرت في ان أرسم نفسي داخل الصخرة ، كمالو كانت من زجاج] (عدة مواءات تبدأ في التكاثر وتستأثر بانتباه الفنان، أرييتا لايكف عن مراقبته [لكن هذا سيكون حدثا كبيرا ، ولم أجرؤ عليه] (يضحك) أما القطط فتمضي خلف المقبرة .
(تستحيل لوحة « الراهبين » مرة اخرى الى لوحة « جوديت »)

أرييتا : (القطط ؟)

جويا : دائما هي هناك (يشير أرييتا الى لوحة « ليوكاديا » ويسأل عن شيء بالإشارة) « جوديت » أخرى ؟ (يشير أرييتا إلى « جوديت ») آه ! هل رايتها ؟ (يضحك) أو أن « جوديت » هي ليوكاديا أخرى ، من ذا يعرف ؟ (تتحول لوحة « الوظيفة المقدسة إلى « الحجيج » تسمع رفرفة جناح طائر عملاق ، يضغط الرسام على إحدى اذنيه ويتحدث ببعض الاضطراب) كأس أخرى يادكتور؟

(يذهب الى المنضدة ، يهـز أرييتـا رأسه علامة الرفض) إنه عصير خالص ، لايضر .

أرييتا : (لا . شكرا)

جويا : (وهو يصب في الأقداح) هل ترى لوحة «الحجيج» ؟ حشرات أكثر ، تحك الأعواد ، يصوّتون ويظنون أنها موسيقى ، ولايعرفون أيضا أنهم في المقبرة . (يشرب ، يخفت خفق الأجنحة حتى يتلاشى . ينظر جويا ساهما الى الفضاء)

أرييتا : (الآن يسمع صوته بوضوح) حكمة الهية !

جويا : هذا هو (يهم بأن يحتسي رشفة من جديد ، لكنه يقفز وينظر الى أرييتا الذى يتأمل اللوحة) ماذا قلت؟ (يهتم أرييتا بما بدا في نبرات جويا ويرسم له عدة إشارات) معتم أكثر مما ينبغى؟ هل هذا ماقلت الآن؟ (يشير أرييتا بالإيجاب) لأنهم . . . يروننا معتمين . فهم مضيئون منورون .

أرييتا : (باشارة معبرة) (من هم ؟)

(يرمقه جويا متفكرا ، ثم يفرغ كأسه في جوفه ويتركه فوق الصينية)

جويا : أريد يادكتور أن أستشيرك في شيء (تتحول لوحة ليوكاديا الى لوحة الفضوليات ، ينظر الرسام الى أرييتا الذى يقف بجوار هذه اللوحة ويعبر المكان كى يجلس على الأريكة) اجلس الى جانبى (ينظر اليه ، يشير أرييتا الى اللوحة ويستفسر عن شيء

بالاشارة ، يتريث جويا في الإجابة عليه ، وعندما يجيب في نهاية الأمر يخفض بصره) هاتان امرأتان فضوليتان ، تعال هنا (يجلس أرييتا بجواره في صمت) منذ إحدى وثلاثين سنة وأنا أصم ، كما حكيت لك من قبل .. في البداية كنت أسمع أزيزا وأصواتا موسيقية . . وبعد هذا . . لاشيء (يجيب أرييتا باشارة الموافقة) ومع ذلك ، فمنذ عام حتى الآن عاد الضجيج . . (أرييتا يرسم بعض الإشارات بدهشة) نعم وبعض الأصوات أيضا . . (أرييتا يصدر بعض الاشارات) ليس عند النوم ، بل عندما أكون تام اليقضة (يشير إليه أرييتا) أصوات واهنة وأنا أعرف مايمكن أن تقوله لى ، عقلى يخترع هذه الأوهام كى يخفف عنى وحدتى .. لكننى أتساءل : ألا تكون قد عادت لى بقية من سمع ؟ (يستنكر أرييتا بقلق) هناك أصوات . . في غاية الواقعية (يتزايد قلق أرييتا وهو يستنكر بشدة ويضع إحدى يديه على كتفه) ألا يمكن أن يحدث هذا ؟ (يشير أرييتا بالنفى بأسى ويستمر في إصدار إشارات أخرى له . . ثم ينهض من مكانه مشيرا له أن ينتبه ويذهب إلى المنضدة ويضرب عليها بقبضته بشدة لكن دون أن يصدر عن ذلك صوت ثم يسائل الفنان بنظراته) لا ، لكن . . (يقاطعه أرييتا باشارة من يده ثم يتناول الجرس ويدقه بعنف دون أن ينبعث منه صوت ما) لا ! . . (يقترب أرييتا من جويا ويهز له الجرس بجوار أذنه فيشير بالنفى مكتئبا ، يعود

الدكتور إلى المنضدة ويترك الجرس . تتحول لوحة « الحجيج » الى لوحة « اسموديا ») هذا معناه في تقديرك أن كل شيء هنا (يشير إلى جبهته ، يهز أرييتا رأسه موافقا بحرارة ، يتبادلان النظر بإمعان ، ينبعث نباح كلب من بعيد) لوقلت لك مثلا إن كلبا قد نبح الآن فسوف تقول لى إنك لم تسمعه (يشير أرييتا بالرفض مؤكدا على كلامه، ينهض جويا ويقترب من الجدار الخلفى) هل تكشف لك رسومى عن شيء ؟ (ينفى أرييتا ذلك بإشارة واهنة غير مؤكدة) لاتتظاهر ، إنها تكشف للجميع وربما لى أيضا (يدعوه أرييتا بحركة تنم عن الحزن ليرفض الأفكار السوداء ويشير الى لوحة « اسموديا » بتساؤل) « اسموديا » (يستفسر الدكتور باشارة مندهشة) مثل الشيطان الأعرج ، لكنها هنا شيطانة ملائكية ، والى اسفل . . هناك الحروب والدماء والأحقاد دائما ، لايهم هذا كثيرا ، وهم يذهبون الى الجبل .

أرييتا : الى الجبل ؟

جويا : تحمله « اسموديا (١) إليه وهو لايزال يرتجف مما يرى أسفل ، ومن موقعه عند الجبل سيظل يراه لكن المخلوقات التى تسكن هناك ستهدئ من روعة وهو جبل حاد القواطع . . لايمكن الصعود إليه

---

(١) شخصية شيطانية تمثل الملذات الدنيا ، وبها سمى جويا لوحته كما عرفنا من السياق ، المترجم .

إلا بالطيران (يضحك، أرييتا يصدر عدة اشارات) مثل السماء ، لكنه ليس سماء (يقرر أن يريه شيئا) انظر إليها هنا (يريه اللوحة المستندة على الحائط وظهرها للمشاهدين ويحضرها إلى مقدمة المسرح ويضعها بحيث تعتمد على المنضدة) إنه نفس الموضوع تقريبا ، رسمتها هذه الأيام عندما أدركت أنهم لايطيرون بفعل السحر كما كنت أظن من قبل) (يشير الى « اسموديا ») وإنما بصنعة آلية .

اريبتـــا : (من هم ؟)

جـــويا : (متفكرا للحظة) هؤلاء الرجال ــ الطيور ، الأجنحة صناعية ، وإلى اسفل فكما ترى تتعانق الناس ، والطائرون بوسعهم أن يساعدوهم ، لا أعرف لمـــاذا لا يفعلون ذلك ، ربما لأنهم يحتقروننا . لهم أن يعيشوا في منتهى السعادة في هذه البيوت المستديرة التى تراها الى أعلى (يراقبه أرييتا بشيء من القلق) ســـأريك رسما تراهم فيه بطريقة أوضح وأفضل ، لست متأكدا من أن الأجنحة مثلما رسمت ، فقد أعملت خيالى بعض الشيء (أمام نظرة الدكتور المتعجبة) طبعا لا يمكن تمييزهم تماما من بعيد (قال هذا باسما أم هازئا ؟) لن أتأخر عليك .

(يخـــرج من الناحية اليسرى ، ينظر أرييتـــا الى « اسموديا » وإلى اللوحة الطريفة الأخرى التى أراه إياها ، تطل ليوكاديا بحذر من الناحية اليمنى)

ليوكاديا : هل ضربتم الجرس ؟

اريبتـــا : نعم لكن لم نكن ننادى أحدا ، أردت أن أبرهن له أنه لا يسمع شيئا .

ليوكاديا : كيف وجـــدته ؟

اريبتـــا : لا أعرف حتى الآن يا سيدتى .

ليوكاديا : (تقترب منه بعصبية شديدة) بل تعرف [أرى هذا في وجهك] جنون .

(يستنكر أريبتا بضيق لكن دون اقتناع ، تهرع هى إلى اليسار دون أن تلتفت اليه لتتجسس وتعود) لقد حكى لى الخدم الآن شيئا فظيعا .

إلى اليسار دون أن تلتفت اليه لتتجسس وتعود (لقد حكى لى الخدم الآن شيئا فظيعا .

(تعبر المكان لتراقب الشرفة الغير مرئية)

اريبتـــا : ماذا يا سيدتى ؟

ليوكاديا : حُثّه على أن يخرج من اسبانيا في أسرع وقت .

اريبتـــا : ماذا حدث ؟

ليوكاديا : (تمشى في الحجرة بكرب شديد) سمع اندريس — سائق العربة — هذا الصباح في السوق [لم يكن الناس يتحدثون عن شيء آخر] سوف يصدرون قرارين .. يقال إن كالوماردى هو الذى اقترحهما ، وأن الملك قد وافق عليهما ، يا للعار ! يا الهى !

اريبتـــا : من فضلك يا سيدتى ، وضحى ماتقولين .

ليوكاديا : (بصعوبة) قرار يقضى بأن يعفى من أية عقوبة كل

من آذى أحد الأحرار في نفسه أو ممتلكاته . . ما دام لم يصل إلى القتل (يشحب وجه أرييتا) يستطيعون السرقة والتخريب والتحطيم بلا عقاب . .

أرييتـــا : والآخـــر ؟

ليوكاديا : عقوبة الإعدام لكل الماسونيين وأعضاء « الكمونات » الجماعية ، باستثناء من يقومون بتسـليم انفسهم والإرشاد عن غيرهم .

أرييتـــا : ربمـــا كانت مجرد إشاعات . .

ليوكاديا : (بهستيرية) حتى أنت لا ترتجف ؟ هل جننت بدورك؟

أرييتـــا : لست مجنونا وأشعر بخوف طاحن حتى ولو لم تصدر هذه القرارات ، اذ أنني أخشى أن تكون الحكومة نفسها هي التي تروج هذه الشائعات . . لكي تثـير الاضطرابات .

ليوكاديا : لا بد من الهرب .

أرييتـــا : لا تحدثي السيد فرانثيسكو عن هذة القوانين .

ليوكاديا : لا أحدثه عنها ؟

أرييتـــا : دعيني أفكر في انسب الأشياء له ، أرجوك [واسمحي لي أن انصحك بشيء . . . لا تعرضي عنه .

ليوكاديا : ماذا تريد أن تقول ؟

أرييتـــا : أن تعامليه بتلطف . . باستعداد ! . . . لا ترفضيه ، كي يلاحظ أنك ترغبينه (يخفض صوته) حتى لو لم يكن يروق لك .

ليوكاديا : (تحمرّ ، بجفاف) من أجل صحته ؟

أريبتـــا : بالضبط] .

ليوكاديا : أهذا هو كل ما يخطر ببالك ؟ والخطر الذى تتعرض له حيـــاته ؟

أريبتـــا : ليست هناك حياة بدون صحة يا سيدتى .

ليوكاديا : ولا صحة بلا حياة .

أريبتـــا : ربما كنا يا سيدتى نبالغ في تقدير الخطر ، فدائمـــا كان السيد فرانثيسكو يتمتع بالاحترام . . . (تبـــدأ كلماته في الخفوت التدريجى حتى تنتهى الى الصمت في نفس الوقت الذى يسمع فيه صوت جويا في الخارج وهو يقترب)

جـــويا : (صوته) لعل السيد اوخينيو يتساءل الآن ما شـــأن هذا الكلام المبهم عن الطائرين (يظهر من اليســـار وهو ينظر الى اللوحة الصغيرة التى يحضرها) انظر الى هذه اللوحة المطبوعة بالحفر بمـــاء النار (ينظر إليهما يصمت أريبتا ، أما جويا فيستجوب ليوكادياباراتياب) أتريدين شيئا ؟

ليوكاديا : (مفكرة) (لا شيء) (تشير) (سأحمل أقـــداح النبيذ)

(تعبر المكان ، وتتناول الصينية بأقداحها وتخرج من الناحية اليسرى بينما يسلط الفنان عليها نظرته الشاكة)

جـــويا : هذه الساحرة تضمر لى اليوم خديعة ما (اقترب منه أريبتا وتناول اللوحة ، يمضيان معا نحو المنضـــدة

ويضعانها عليها كى ينظرا إليها) انظر يا دكتور . هى من لوحات أطلقت عليها « أحلام » بالرغم من أنها أكثر من أحلام ، هل تظن أنه سيمكن للإنسان يوما أن يطير هكذا ؟ (يجيب أرييتا نفيا) لقد فكر ليوناردو في آلة شبيهة (يبدأ أرييتا في إصدار بعض الإشارات) لم يطر ، لكن ربما يطير في يوم من الأيام . (ينظر إلى الدكتور بطريقة غامضة ، أرييتا ينظر إليه هو الآخر بتمعن ويستنكر . تظهر ليوكاديا من اليسار وتعبر المسرح ببطء ، نظرة لا إرادية من أرييتا تنبه جويا لوجودها) حتى الآن لم تحضرى ماريكيتا ؟

ليوكاديا : (يسمع صوتها بوضوح تام) ماريكيتا . . ماتت . . (تحث خطاها وتخرج من اليمين)

جـــويا : هل قالت شيئا ؟ (يهز أرييتا راسه بالإيجاب ويصدر عدة اشارات) ستذهب لتحضرها ؟ (يوافق أرييتا ، صمت ، يتنفس جويا بعمق وهدوء ويجلس بـــترو شديد خلف المنضدة ، في نهاية الأمر يستنجد بعزيمته ويتكلم) [طبقا لرأيك فإن عقلى يسخر من سمعى ، فهل يسخر أيضا من عينى ؟ (يتساءل أرييتا بنظراته) أنا أصم لكنى لست أعمى (بوقار) أنت تعرفنى جيدا وأعتقد أنك لا تظننى مجنونا . .] سأبوح لك بشىء . . لا يصدق ، لكن عدنى بأن تكتمه (يوافق أرييتا بترقب) لقد رأيت هؤلاء الرجال الطيارين . (يشـــير الى اللوحة)

أرييتـــا : (ماذا ؟)

جـــويا : في الربى الخلفية (يجلس أرييتا على مهل ويراقبـــه بتفهم) رأيتهم مرتين ، منذ عامين . بعيدين جدا ، لكن نوافذ شيء يبدو وكأنه منزل كانت تتلألأ على الهضبة العليا وهم يطيرون حولها ناصعي البيـــاض (أرييتا يشير عدة إشارات) انا أعرف طيور هـــذه المنطقة وليسوا طيرا . إنهم ربما كانوا فرنسيين يقودون أجهزة جديدة . لكن هذا غير ممكن . فلو حدث لكان قد عرف الآن (أرييتا يصدر بعض الإشارات . لكن جويا يرد عليها بالنفى المرة تلو الأخرى ثم يقاطعه) لا ، لست أحلم بالملائكة [ليسوا ملائكة (أرييتا يصدر إشارات أخرى) تخيل المستقبل؟ قلت لك إنني رأيتهم (يصدر أرييتا بعض الإشارات ملوحا في اتجاه « اسموديا ») نعم هذا خيال ، فإنسان وحيد مسكين مثلى يستطيع أن يحلم بأن امرأة جميلة.. من جنس سحرى مجهول . . تحمله إلى جبالها ، حتى يرتاح من البؤس البشرى (يصدر أرييتا إشارات أخرى) ليس الى السماء] فهم يعيشون على الأرض لا أعرف من هم .

أرييتـــا : (مشيرا إلى عينى جويا وهو يهز رأسه) (العين أيضا يمكن أن تخدع . .)

جـــويا : عينى لا تخدعنى . وقد رأيت إخواننا الكبار ، ربمـــا كانوا يعيشون في الجبال منذ قرون . . . وسأبوح لك بأعظم رغباتى . . أن يجيء اليوم الذى ينزلون فيـــه

ويقضون على فرناندو السابع وعلى جميع مظاهر القسوة في العالم ، ربما يهبطون يوما كجيش ساطع ويدقون كل الأبواب ، بضربات قاصفة حتى أستطيع بنفسى أن أسمعها . . ضربات مثل الطرقات المروعة (صمتّ ، أرييتا ينظر إليه باضطراب ويخفض بصره) قد تظن أنى مُمسوس (يجيب أرييتا نافيا بوهن) فلنترك هذا (ينهض أرييتا ويسير في الحجرة ، ثم يسدد نظرة معبرة الى لوحة « الفضوليات » وأخرى الى الرسام ويهز رأسه بحزن بالغ . ثم يقترب منه ويصدر بعض الإشارات) بالطبع ما زالت تثيرنى الفتيات . فأنا لم أصبح عجوزا بعد (إشارات مقتضبة من أرييتا) ليس مثل الأول بالطبع ، فالرسم يستأثر باهتمامى بشكل متزايد حتى أنسى ما عداه .

[أرييتا : (يضغط على كلماته ويشير لجويا بإصبعه ثم يشير الى الناحية اليمنى) أنت أم هى ؟

جويا : (ينهض ويمشى في الغرفة بضيق) ليوكاديا امرأة حمقاء رأسها ملىء بالغيوم (يتوقف محنقا بسبب بعض الإشارات الأخرى من أرييتا) ماذا ؟ (يتنفس أرييتا بصمت ويشير الى لوحة الفضوليات فيأخذ جويا في الجلوس منزعجا بجوار المجمرة ، ثم ينظر للدكتور في نهاية الأمر بوجه مربدّ مما يجعله يصدر بسرعة إشارات اخرى) لا تخش شيئا على صحتى ، فالبرق نفسه لا يستطيع أن يصعقنى (ينهض مغيظا) ولا أريد أن أتحدث في بذاءات ، (يصدر أرييتا

بعض الاشارات بأسى) دعك من الخوف ، أنا لا أخاف من شيء ولا أحد (يجلس أرييتا على الأريكة ويصدر عدة إشارات أخرى) نعم إنني لست غبيا] (يشير أرييتا بإشارات أخرى) مهموم ؟ . . ومن ذا الذى ليس بمهموم الآن ؟ (إشارات مقتضبة من أرييتا) الآن ؟ (يهز أرييتا رأســـه بالايجاب ، جويا يفكر ويجلس إلى جواره ، يتناول عصا المجمرة ويعبث بها) الآن تشغلنى رسالة خاصة (يتساءل أرييتا بملامح وجهه) كتبت رسالة منذ فترة طويلة إلى « مارتين ثاباتير » ولم يصلنى الرد ولا أظن أنه قد حدث شيء . . (سكتة قصيرة) لكننى كنت غير حذر . . فمارتين مثل أخى وكنت محتاجا بشـــدة للتعبير عما بنفسى . . [فعندما أكتب افضى بذات نفسى ، كما لو كنت أسمع ، ما علينا ، لا أظن أنهم يفتحون كل الخطابات ، وما يدمدم به كتابة عجوزان مثلنا لا يمكن أن يهم أحدا] (يرسم أرييتا إشارات الكتابة ويسأل بحركة من وجهه) أشياء خاصة بنـــا (يضحك) لكننى كلت السباب لجناب الأنف الأكبر

أرييتـــا : (في الخطاب) ؟ (ويكرر إشارة الكتابة)

جـــويا : أبحث لنفسى هذه المتعة (يصفر وجه أرييتا ويصدر عدة إشارات) أجل ، سباب من أقبح ما يمكن ، وإن كان أقل ممـــا يستحق (ينظر باسما إلى الدكتور ويغيّر تعبير وجهه عندما يرى ما يرتسم على ملامحه) أتخشى أن يحـــدث شيء ؟ (يصـــدر أرييتا بعض

الإشارات) منذ أربعة عشر يوما . (ينهض أرييتـــا ويسير في الغرفة ، نبدأ في سماع نبض القلب المتباعد المكتوم) لعلهم لا يفكرون فيّ بالقدر الذى يجعلهم يفتحون خطاباتى . . (يتوقف أرييتا ويصدر إشارات أخرى تعود دقات القلب فجأة في إيقاعها وفي حدتها) أعرف ما هو الكتاب الأخضر . أو ما يقال إنه كذلك (يبعث أرييتا بإشارات) شكرا . تكتب إلى مارتين إن كان الأمر يحتاج . لكن بعد عدة ايام . . .فلننتظر (يقترب منه أرييتا ويضع يده على عاتقه . جـــويا ينظر إليه فيصدر الدكتور عدة إشارات) إلى فرنسا ؟ (يجيب أرييتا بلهفة موافقا) حقيقة . . تعتقـــد إننى في خطر ؟ (يوافق أرييتا ، يتريث جويا في التفكير) خطر قاتل ؟ (بعد لحظة تردد يجيب أرييتا موافقـــا . ينهض جويا ويسير في الغرفة بعصبية) علىّ أن أرسم هنا . . هنا .

أرييتـــا : (يوقفه بذراعه) (عليك أن تنجو بنفسك)

جـــويا : (يضحك بينما تشتد دقات القلب) أنا جويـــــا ، وسيحترمونني !

ليوكاديا : (تدخل فجأة من الناحية اليمنى وتصل إلى جانبـــه ، فيتحدث وهو يسير دون أن يستطيع أحد إيقافـــه) (سوف يسحقونك مثل النملة ، سيجرونك في غبيط مثلما فعلوا مع « رييجو » لو بقيت هنا . كمـــــا سيسحقونني أيضا أنا والأولاد)

(لكن جويا يستنكر هذا ويظل يتحدث بغضـــب

متزايد بينما يتفاقم ضجيج دقات القلب)

جـــويا : لا ،لا ،لا ، كنت تتسمعين ؟ إذن فاسمعى ،سنبقى ، لن أطلب شيئا من هذا المسخ المقزز . من هذا المجرم السفاح [وهو لن يجرؤ على المساس بي] سأظل في بيتى مع الأولاد ، مع رسومى ولوحاتي ، وسأمشى عبر هذه الربي المباركة . . معك ومع أبنائك ومـــع أسرتي وحفيدى ، سنحتفل هنا بليلة الميلاد .

ليوكاديا : (تلوى عنقها بيديها) (سيقتلوننا)

جـــويا : اخرسى ، ليس الأمر لك هنا ولا للملك ،أنا صاحب الأمر هنـــا .

ليوكاديا : (تصرخ بصوت غير مسموع) (مجنون !)

أرييتـــا : (يهرع إلى جانبها) (سيدتي اهدئي ولا تثيريـــه . . هذا أسوأ) (يشتد خفق القلب ، يمسك أرييتا بذراع جـــويا) (اهدأ ياسيد فرانثيسكو . . تعـــال . .) (يقوده الى أحد المقاعد بينما يجس له النبض خفية ، يلهث الفنان ويومئ برأسه ويهمهم بكلمات مبهمة ، تخفت دقات القلب رويدا رويدا ، يفحص أرييتـــا لعدة لحظات وجه جويا ثم يتناول قبعته وعصـــــاه ويشير عـــدة إشارات)

جـــويا : أرجو أن تتقبل عذرى يادكتور، [وشكرا عـــلى زيارتك] (يشير أرييتا بعلامة النفى وهـــو يستودعه متجها إلى اليمين ، صوت جويا ينم عن قدر مـــن المذلة) ستعود قريبا ؟ (يجيب أرييتا موافقا ثم ينحنى ويخرج تصحبه ليوكاديا . تظل دقات القلب مسموعة

صمّاء وإن كان إيقاعها يبدو كما لو كانت لقلب متعب) نينا . . ماريكيتا ، أين أنت ؟

(ينهض وهو يتحدث ويطل ناحية اليمين ، يسمع صوت ماريكيتا من اليسار فيلتفت إليه جويا)

ماريكيتا : (صوتها) يحملونني في ممر مظلم . . لاأرى شيئا .

صوت رجل

عجوز : « سياتي الغـــول ! »

صوت امرأة

عجوز : « ويحملها معـــه ! »

(صمت طويل)

ماريكيتا : (صوتها) لن تراني بعد الآن ! . .

(يسمع جويا هذه الأصوات بقلق متزايد ، تضعف دقات القلب حتى تتلاشى ، صمت ، يضع الرسام يده على جبهته ويزفر ، اللوحات المعروضة عـــلى الحائط الخلفي تتلاشى بالتدريج وببطء ، ولاتبقى سوى لوحة « زحل » يمسك جويا بالمنظار من فـــوق المنصدة ويقترب من الشرفة الغير منظورة كي ينظر إلى القصر ، تعود ليوكاديا للظهور من الناحية اليمنى بفنجان تقلب سائلة بصمت وتنظر اليه ببرود)

ليوكاديا : (خـــذ)

جـــويا : لست محتاجا لغسيل أمعاء .

ليوكاديا : (تشير الى الخارج) (لقد أمر بـــه الطبيب)

جـــويا : (يهز كتفيه) لاأريد لحاجا ، هاتي (يتناول الفنجان

ويشرع في الجلوس خلف المنضدة حيث يترك عليها المنظار . بينما يحتسى الشراب تواجهه ليوكاديـــا وتشير له ببضع علامات ، يترك الشيخ شرابه فجأة) أية مراسيم ؟ (تستمر في الإشارة دون أن تعبأ بـــه ، يفزغ جويا لكنه يتمالك نفسه) لم أكن أبدا ماسونيا ولا عضوا في جماعـــات « الكومون » (تواصـــل ليوكاديا الإشارات نعم ، من الأحرار ! لكنهم لن يشنقوا جميع الأحرار (تواصل هي إشاراتها دون انقطاع) ماذا ؟ (تستمر) حكايات عجائز !

ليوكاديا : (وهي تضم يديها ضارعة) (لابد لنا أن نرحل)

جـــويا : (يحتسى الفنجان وينهض عابسا) هل تعتقدين أنني لا أدرك لعبتك ؟ تحلمين بفرنسا . . وبالفرنســـيين (يضغط على أحد ذراعيها) لكنك لن تلعبي علىّ ، فلا زلت رجلا يستطيع أن يجبرك على الأنين متعة أو خوفا ، فاختاري لنفسك !

[ليوكاديا : (تحاول التخلص منه) (أنت تؤذيني !)

جـــويا : يا عاهرة هـــل تنفرين من تجاعيـــدى ؟ (تستنكر باضطراب) لاتنكرى هذا] (يصدها بعنف ويتقدم بينما ارتسمت على وجهه دلائل عذاب مريع ، تنظر إليه ليوكاديا بخوف وجرأة معا) احضرى ماريكيتا ، لم أرها طيلة هذا الصباح (تنظر إليه ليوكاديا ببرود فيلتفت) ماذا تنتظرين ؟ (تشير إليه بعدة علامـــات ببطء) لماذا أرسلتِ بأولادك إلى مـــنزل المهندس « بيريث » ؟

ماريكيتا : (صوتها) لن ترني بعد الآن ! . . .
(يتحمل جويا هذه الكلمات دون أن يكف عن النظر إلى ليوكاديا التى تتابع الإشارات]

جويا : (حائرا) أكثر أمانا من هنا . . (يفهم الأمر فجأة ويخطو نحوها) أتقولين إنهم سيظلون هناك ؟ (تهز رأسها بالإيجاب بينما يختنق من شدة الغيظ) لماذا ؟ (تشير بعدة علامات أبناؤك نعم ، الأبناء الشرعيون للسيد « ايسيدورو ويس » ، أما هى فابنتى ، وهى تتعلم الرسم معى وستصبح فنانة كبيرة ، وأنا صاحب الأمر على ابنتى ، لأني أبوها (تستنكر ليوكاديا بعصبية) أتقولين لا ؟ سأذهب الآن توا الى منزل « تيبورثيو » وأحضرهم (تعترض وتستنكر) ابعدى ، [يحمرّ وجهها وتأتي بعدة إشارات سريعة) لا تهددينى ، أين تذهبين أنت وأولادك بدون حمايتى ؟

ليوكاديا : (لا تحضرهم)

جويا : تريدين أن ترغمينى لأنك تعرفين أننى أعبد الطفلة ، لكنك لن تحققى مآربك (يدفعها ويهم بالخروج ، لكنها تمسكه باكية) دعينى !

ليوكاديا : (انتظر)

(ترجوه التريث بإشارة من يدها وترسم له بعض العلامات)

جويا : الطفلة ليست مذعورة .

(تؤكد ليوكاديا هذا بعينين مبللتين وتشير بحركة

دائرية إلى الرسوم واللوحات . لوحة « زحل » المعلقة في الحائط الخلفى تبدأ في التضخم)

ليوكاديا : (الطفلة . .) (تشير بيدها إلى قامتها) (هنا . . .) (تشير بيدها الى الجو والحوائط) (تفزع . .) (تحاكى ارتجاف ابنتها وبكائها مشيرة الى لوحات الحائط الخلفى) (عندما تنام) . .
(حركة تشير إلى النوم مقلدة اليقظة المليئة بالصراخ والدموع)

جـــويا : تمانى من الكوابيس ؟ (تجيب بالإيجاب) لو حدث هذا للاحظته (تنمى ذلك بشدة وتشير إلى أذنيـــه ، ثم تمسكه من ذراعه وتسير به الى الشرفة لتريه شيئا) المتطوعون الملكيون ؟

ليوكاديا : (تجيب بالإيجاب وتشير بفمها) (خطر) !

جـــويا : (بدون اقتناع) ليس من شأنهم أن يتعرضوا للأطفال (تشير بالإثبات وتحاكى عملية ضرب طفل مؤكدة أن المتطوعين فعلوا ذلك مرات أخرى) حتى لو كان الأمر كذلك يجب إحضارهم على أعياد الميـــلاد (ترسم إشارة الحيرة) معنى هذا أننى كلما أردت أن أرى ابنتى وجب لى أن أذهب كل يوم لمنزل صديقى « تيبوريثو » (تجيب ليوكاديا بالنفى بعصبية) كيف لا ؟ (تعود ليوكاديا لتشير ناحية الشرفة ثم تومىء إليه وتحاكى عملية الضرب ، يتروى جويا طويلا قبل أن ينظر من الشرفة ، تعود دقات القلب بصوتها المكتوم ، عندئذ تتراجع ليوكاديا بخفة وهى تنظر إليه

بعينين ملغزتين وتخرج خلسة من الناحية اليمنى ، ينفض الرسام رأســه ويعود ليتأمل باستغراق صورة « زحل » وهى تتضخم حتى تشغل الجدار الخلفى ، ثم يكظم غيظه ويهرع إلى الناحية اليمنى صائحا) أيتها الساحرة اللعينة ! ما هذا الشرك ؟

(تستمر دقات القلب الصماء فيعود إلى المنضدة ويتناول الجرس ويهزه فتسكت الدقات . يكف الرسام عن تحريك الجرس فتسمع دقات القلب من جديد . ينظر الى تضخم راس « زحل » ويهز الجرس من جديد فتتوقف الدقات ، يوقف يديه فتسمع مرة أخرى ، يتلاشى الضوء ببطء وعندما تتوقف الدقات يسمع صوت الجرس واهنا ضعيفا فاذا ماسكت عادت الدقات وإن كانت منطفئة . يسمع رنين الجرس مرة اخرى بشكل اقوى فإذا ماصمت انبعثت الدقات واهنة لاتكاد تسمع . يعود الرنين بشدة وعند انتهائه لايسمع شيء . . يدق الجرس مرتين بعد ذلك . صمت . يعود الضوء على مهل ، تظهر على الحائط الخلفى لوحات « ليوكاديا » و « الوظيفة المقدسة » و « القراءة » لوحة « الطائرين » تختفى . تجلس كــل من السيدة « ليوكاديا » والسيدة « جومر » سيندا باسترخــاء بجــوار المجمرة . تبدو السيدة « جومر سيندا » في كامل زينتها ، تبلغ من العمر خمسا وثلاثين سنة ، ذات مظهر حسن وابتسامة دائمة ووجه مرهف وعينين متوقدتين وان كانتا تخلوان من العذوبة)

[ليوكاديا : حقيقة لاتشتهين كأسا من الشراب ؟

جومر سيندا : حقيقة لا . شكرا .]

ليوكاديا : معذرة لأن الخادمة الفظة « اميليانا » اضطرتك لكل هذا الدق على الباب . . لو كنت أعرف أنه أنت لذهبت بنفسى لفتحه .

جومر سيندا : من فضلك لاداعى للإعتذار ، فانا أدرك السبب ، كيف حال سيدك ؟

ليوكاديا : (تنظر اليها وقد فهمت قصدها من التجريح) فرانشو ؟ سعيد جدا وفي صحة جيدة كأنه غلام يافع .

[جومر سيندا : في كل شيء ؟

ليوكاديا : ماذا تقصدين ياسيدتى جومر سيندا ؟]

جومر سيندا : يأكل جيدا ؟ لايصاب بالسعال ؟ لايرهق ؟

ليوكاديا : لقد رأيته منذ فترة وجيزة ، وهو كما هو .

جومر سيندا : في هذه السن . . من الجائز أن يحدث أسوأ شيء في يوم واحد . .

ليوكاديا : أنا متأكده من أنه سيعيش لنا سنوات مديدة (تتحداها) وأعتقد أنه يستطيع حتى أن يتزوج .

جومر سيندا : (ذاهلة لجرأتها) كفاه الله شر هذا الهوس ، فالتى تقدم على هذه المسخرة لابد أن تكون بغيا تريد أن ترث ممتلكاته وبالإضافة الى ذلك تشهّر به . .

ليوكاديا : لاتخشى شيئا فهو لايفكر في هذا .

[جومر سيندا : (بعذوبة) هل أنت التى فكرت في ذلك ؟

ليوكاديا : أنا ؟

جومر سيندا : (ببراءة) ألست أنت التى قلت إنه يستطيع أن يتزوج

ليوكاديا : (متغيرة) كنت أقصد . .

جومر سيندا : (تقاطعها) أجل ، أفهمك . . إن صحته جيدة (تشير الى لوحة « ليوكاديا ») هذه المرأة « البلدى » هى آخر مارسمه ؟

ليوكاديا : أجل ياسيدتى ، هى صورتى .

جومر سيندا : إنها لاتشبهك . لاأحد يعرف أية امرأة تذكرها حماى عند رسمها . .

ليوكاديا : (بجفاف) كنت أنا النموذج الذى رسم وفقا له]

جومر سيندا : مادمت تقولين ذلك . . لكننى لم أسالك عن السيد زوجك ، كيف حاله ؟

ليوكاديا : أنت لاتجهلين أننى لاأراه مطلقا . .

جومر سيندا : لاتؤاخذينى فنسيانى هو المسئول . . بما أن زوجك مازال شابا فتيا والحمد لله فلا بد أنه بخير وصحة جيدة ، نعم ، هو الذى سيعيش سنوات طويلة (تتنهد) جئت لأعرف ياسيدة ليوكاديا ماإذا كنا سنحتفل هنا بعيد الميلاد كما هى العادة . فنحن الآن في الخامس عشر من ديسمبر ولابد من الاستعداد بكل شىء . . هل ستنصبون نموذجا لبيت لحم هذا العام ؟ لقد رأيت في الميدان الأكبر تماثيل في غاية

الجمال ، هل توافقين على أن أحضر لماريكيتا تماثيل الملوك الثلاثة السحرة ؟

ليوكاديا : لن يكون أولادى هنا ياسيدة جومر سيندا .

جومر سيندا : لا ؟ كيف هذا ؟

ليوكاديا : (بتردد) أرجوك ياسيدة جومر سيندا أن تساعديني في إقناع فرانشوكى . . . نحتفل هذا العام بعيد الميلاد في منزلكم .

جومر سيندا : (ببرود) لماذا ؟

ليوكاديا : حماك في خطر . . والفتنة في هذه الأيام تبيح الإعفاء من العقوبات . . كان يجب على فرانشو أن يخرج من اسبانيا لكنه لايريد ، فلو كان يخرج حتى من هذا البيت . . إلى منزلكم . ربما . .

جومر سيندا : أتظنين أنه يجب عليه أن يختبىء ؟ (تشير ليوكاديا بالإيجاب) لكن حماى لم يرتكب ذنبا على الاطلاق

ليوكاديا : هناك آخرون لم يرتكبوا ذنبا ولكنهم اضطهدوا وقتلوا .

جومر سيندا : بيتنا ليس مخبأ مناسبا . . فزوجى هو الآخر ليس مرضيا عنه ، فهو في نهاية الأمر ابن أبيه (تبتسم) لكنهم لن يتعرضوا لأى منهما ، ليسوا أشرار بهذا القدر [وحماى هنا في هذا البيت المنعزل أقل تعرضا للضرر منه عندما يكون في مدريد مدينة اللغط والضجيج]

ليوكاديا : (تنهض بعصبية) ولو حدث له شيء . . فلأنه قد عاش طويلا . .

جومر سيندا : (تنهض) إلام تلوحين ؟

ليوكاديا : ألم أحسن فهمك ؟

جومر سيندا : انا أمنعك . .

ليوكاديا : (بغضب) مم ؟

جومر سيندا : (تتمالك) لن أعبأ بسفاهتك ، إذ أنني أراك هلعة . وبالرغم من أنه يبدو أن هذا لا يعنيك كثيرا فاننا لاينبغي أن نكدر حماى ، فأمامه سنبدو بوجوه باشة . . وسنحتفل بعيد الميلاد هنا ، إلا إذا أمر هو بشيء آخر ، فالأسرة هي التي تقرر ذلك . لاأنت ! (تبتعد عنها وتأخذ في تأمل لوحة ليوكاديا)

ليوكاديا : (تتماسك وتخفي غضبها لكرامتها) مهما كان ماأستطيعه قليلا فان فرانشو لن يقضي هنا أيام الأعياد

جومر سيندا : لاتظني أن لك مثل هذا النفوذ ياسيدتي ، ولاتعودي مرة أخرى لتسميته فرانشو ، فهذا شيء مضحك من فمك . (يدخل جويا من ناحية اليسار)

جويا : (ببهجة) جومر سيندا !

جومر سيندا : (أبي !) (يتعانقا ، جومر سيندا تقبل وجه الشيخ)

جويا : ياللفرحة ! ، أين ذهب أبني « باكو » (تنفي جومر سيندا وجوده بدلال وأسف) كيف ؟ ألم يحضر عديم الأصل هذا ؟ (يضحك) لكن أحقا لابد من أنك قد أحضرت حفيدي ؟ وانني أعرف أين هو ؟

وأنه ذهب الى الكوخ ليرى الخيل ؟ سيكون فارسا عظيما ، أنا أتوقع ذلك (يعبر المكان) ماريانيتو ! يامارياتيتو ! (تجرى جومر سيندا خلفه وتوقفه وتنفى أن الطفل موجود) ماذا ؟

جومر سيندا : (لم يستطيع ماريانيتو أن يجيء . .)

جويا : ألم يات هو الآخر ؟ (تشير جومر سيندا بالنفى بضيق متواضع)

جومر سيندا : (مار . . يا . . نيتو . .) (تضم يديها) (يطلب منك أن تسامحه . .) (تحاكى) (ويرسل لك قبلاته (تقبل الهواء ثم تقبل وجه العجوز)

جويا : دعك من هذا (يرد القبلة بطريقة آلية) لم يأت إذن (يجلس كئيبا إلى المنضدة ويشرع في تخطيط بعض الرسوم)

جومر سيندا : (تقترب منه وتلثم شعره) (لاتغضب منى . . سأحضره لك في يوم من الأيام ، وعد منى . .) (تلثم اصبعين من يده على شكل متقاطع)

جويا بضيق : (بضيق لأنه لايفهمها) ليو ! ماذا تقول ؟ (تقترب ليوكاديا وتصدر عدة إشارات سريعة تشير جومر سيندا إلى أنه ليس ضروريا عونها ، تتناول قلما وتكتب على ورقة لكن ليوكاديا تستمر في إصدار الإشارات ، يبتسم جويا بعد أن يرى الورقة وينظر الى ليوكاديا) أنت تقولين أنها ستأتى بحفيدى قبل ليلة الميلاد وأنت تقولين أنك لن تحضريه قبلها . لكى نثق في النساء !

جومر سيندا : (إلى ليوكاديا) (أنا لم أقل هذا بل ذاك)
(تشير الى الورقة)

ليوكاديا : (أنا أقول مافهمت) (وتعود لرسم بعض الإشارات كما تعود جومر سيندا للكتابة بعصبية)

جويا : (عابسا) وهكذا إحدى وثلاثون سنة (ينظر إلى الورقة) لاتتفقان . لا (إلى ليوكاديا) لكنني أستطيع أن أجيب عليك ، ولاكلمة واحدة عن الاحتفال بأعياد الميلاد في غير هذا المكان . (تبتسم جومر سيندا منتصرة ، وتشرع ليوكاديا مغيظة في رسم بعض الإشارات ، تداعب جومر سيندا الرسام وتلمس حاجبها باصبعها إشارة الى أن ليوكاديا مجنونة)

ليوكاديا : (أنت طويلة اللسان)

جومر سيندا : (أنا لم أقل إن فمي مثل فمك)

ليوكاديا : (إذن فأنت سيئة النية)

جومر سيندا (أتجرؤين على الحديث عن ســوء النية) ؟

ليوكاديا : (وســيئة الفعال)

جومر سيندا : (حاسبي على كلامك)

ليوكاديا : (إن الاحتيال على عجوز مسكين أمر شنيع)

جــويا : (يضرب بقبضته بشدة على المنضدة دون أن يسمع للضرب صوت فيفزعهما مغيظا لأنه لا يفهم أيا منهما) اذهبا الى الشيطان أنتما الاثنتان ! ! أريد منكما أن تجلسا هنا (يشير الى المرأتين اللتين تذهبان

للجلوس على الأريكة) والآن ، همهموا كما تشاءون لكن في عيد الميلاد الجميع هنا معى (تشرع ليوكاديا في رسم بعض الإشارات) وأولادك ايضا ! ولا أريد أن يلوى أحد فمه اكثر من ذلك ، يبدو أنكم كالقردة (يستغرق في رسومه ، تتبادل جومر سيندا وليوكاديا في صمت بعض الكلمات الوجيزة الحادة ، لكن اشتباك السيدتين لا يلبث ان يحمى وطيسه مرة اخرى ، إذ تنم ملامحهما عن السخرية المريرة والهزء الشديد الموجه من كل منهما إلى الأخرى) . ألم يأت ساعى البريد اليوم أيضا ؟ (المرأتان تستمران في نقارهما ولا أحد يجيبه . ينظر اليهما ويعيد سؤاله بشدة) ألم يأت ساعى البريد اليوم أيضا ؟ (تنظران إليه ، ليوكاديا تشير بالنفى) استمروا . . استمروا في حنانكم ! ! (يرسم وهن يعدن إلى نقاشهن الحاد ، تسمع أصوات مثل قوقأة الدجاج اليسيرة فيرفع جويا رأسه ، تبدأ القوقأة في الارتفاع فينظر جويا الى الأريكة ملاحظا أن هذا الضجيج ينبعث من شفاه ليوكاديا التى تتحدث ، يتفاقم صوت القوقأة مما يدل على أن ليوكاديا مغيظة محنقة . بحركة مترفعة توقفها جومر سيندا وترد عليها بنهقة أشد منها ، يلاحظهما جويا وعلى وجهه تعبير غريب فبالرغم من أنه يكتم ضحكة إلا أن هناك شرارة من الفزع في عينيه . ينبعث من فم كل من السيدتين أصوات تتراوح بين القوقأة والنهيق ، هناك دهشة متزايدة في قوقأة ليوكاديا وانتصار متصاعد في نهيق جومر سيندا ،

تنهض فجأة ليوكاديا وقد ازرق وجهها وتطلق قوقأتين ثائرتين تعادلان سؤالين مغيظين ، فتقف جومر سيندا وترد عليها بنهيق مهيب يبدو أنه تاكيد صـــارم ، ينفجر جويا في ضحك وقهقهة دون أن يكتم قلقـــه أو يترك الضغط على اذنيه . تخرس المرأتان وتنظران إليه ، ثم تتبادلان النظر ، تقترب جومر سيندا من العجوز وتودعه بقبلات حانية) أتذهبين الآن ؟ (تشير جومر سيندا علامة الموافقة وينبعث منها نهيق رقيق لا يعرف جويا ازاءه هل يفزع أم يضحك) إذن فقبلى لى كثيرا هذين الولدين العاقين (تشـــير جومر سيندا بالإيجاب ثم تركع على ركبتيها وتصوب نحو ليوكوديا ضربة رأس باردة . تعيدها لها الأخرى في التو ، تخرج الأولى بسرعة من الناحية اليمنى . صمت ، تنظر ليوكاديا إلى الرسام بحقد . جـــويا يواصل الرسم وهو لا يزال متأثرا بسخرية سمعه منه . يسمع مواء قطة ، فيترك جويا الرسم وينظر بكآبة إلى الأمام ، تقترب منه ليوكاديا وتدير رأسه بعنف كى ينظر اليها ، عندئذ ترسم عدة إشارات في الهـــواء ، يضطرب لها جويا . صمت ، تسأل ليوكاديا بحركة آمرة من رأسها فينفجر الرسام) إن جومرسيندا سليطة اللســـان .

ليوكاديا : (بحركات نشطة من ذراعها ورأسها) (لكن هـــذا صحيح) ؟

جـــويا : (يرمى بالقلم وينهض) نعم ، هذا صحيح !

ليوكاديا : (تنم حركتها عن يأس حقيقى) (يا إلهى ، هكذا تجازينى ، هذا هو حنوك على ماريكيتا هل أضطر أنا وأولادى الى استجداء الحسنة في الطرقات ؟

جـــويا : (يمشى في الحجـــرة ليتفاداها) ما مناسبة هـــذا التهويل ؟ . . اهدئى واسمعى . . عليك أن تفهمى ذلك . . (يجذبها من ذراعها) اسكتى (هى تصرخ دون أن يسمع صوتها) أنا لا أسمعك ، لكن اسكتى (تفلت منه وتجلس باكية) اسمعى يا امرأة ، إن الملك مخلوق شائه ومستشاروه مجموعة من الثعالب لايحرضهم على القتل فقط بل على السرقة أيضا ، وهم يحتمون في ذلك بالقانون وببركات رجال الدين . وما أهون أن يجردوا أحد الأحرار من ممتلكاته وإن لم يشـــكو فانه يستحق المشنقة . فنحن لسنا أسبانا بل شياطين . وهم ملائكة تكافح ضد الجحيم أنا أنتقم لنفسى . أرسمهم بوجوههم التى تشبه وجوه السحرة وشذاذ الآفاق في اجتماعاتهم الشريرة التى يطلقون عليهـــا أعياد المملكة . لكننى أيضا أنتبه مبكرا لأننى لست غبيا . وهكذا ذهبت منذ ثلاثة شهور إلى المسجل وتنازلت عن هذه الضيعة لحفيدى « ماريانيتو » (ترسم ليركاديا بعض الإشارات في الهواء وهى هائجة) كان لا يمكن أن أتنازل لمـــاريكيتا .

ليوكاديا : (إنها ابنتك)

جـــويا : هى ابنتى لكن ليس أمام الكنيسة ولا أمام القانون [والضيعة ينبغى أن تذهب الى أحد أفراد عائلتى ..]

آه . . لا أعرف لمـــاذا يتعين على أن أشرح لك كل ذلك ! (يسير في الحجرة ، ليوكاديا ترسم بعض الإشارات بانفعال) لا .

ليوكاديا : (نعم)

جـــويا : حسنا نعم ، لكن لا ، ففى حياتى أستطيع أن أهدى ما أريد لمن أريد ، لكن أن أهدى الضيعة لمـــاريكيتا فهذا يعنى التشهير بها والتشهير بك (تنفى ليوكاديا) سأحميك أنت وأولادك اطمئنى . .

ليوكاديا : (كيف) ؟

جـــويا : أنا لم أتنازل عن كل شىء ، وسوف أخصص بعض الهبات لكم . .

ليوكاديا : (متى) ؟

جـــويا : (باسما) لا داعى للعجلة ، ما زلت سأعيش مائة عام مثل الرسام تيزيانو (١) .

ليوكاديا : (تنهض وترسم إشارات في نفس الوقت الذى تتكلم فيه) (سوف يحملون كل شىء ، فابنك انتهازى وزوجته ســـاحرة)

جـــويا : ابنى ليس انتهازيا .

ليوكاديا : (بمزيد من الإشارات) (إنهم ينتظرون موتك مثل الغربان)

جـــويا : هم ليسوا غربانا ولا ينتظرون موتى .

---

(١) رسام ايطالى عاش حتى عام ١٥٧٦ ويعتبر الممثل الأكبر لعصر النهضة فى فينيسيا . المترجم .

ليوكاديا : (مزيد من الإشارات) (حفيدك البدين هذا لا ينتظر شيئا آخـــر)

جـــويا : (يحس فجأة أنه قد جرح فيهزها) أيتها الثرثارة . . إن حفيدى ليس بدينا ، وهو يحبنى وعليك أن تحترميه . . أتسمعين ؟ (تنصت ليوكاديا فجأة لشىء منبعث من اليمين) أتسمعين ؟ (تشير إليه بأن يصمت حتى تتبين ماذا يحدث في المنزل ، تختفى لوحات « ليوكاديا » و « القراءة ») كفاك هوسا ، لن تخدعينى بالرغم من أننى أصم ! (ترجوه مرة أخـــرى أن يسكت) علام تنصتين ؟

ليوكاديا : (تلتفت مغيظة اليه وترسم إشارات سريعة) (إنك مستحيل ! ساذهب)

جـــويا : إذن فاذهبي (يضغط بشدة على أحد ذراعيها) اذهبى أنت وأولادك واطلبى الحماية من أحد هؤلاء المتطوعين على القنطرة الذين تغازلينهم .

ليوكاديا : (زائغة) ماذا ؟

جـــويا : هذا الفتى القوى ذو الشوارب ، الشاويش !

ليوكاديا : (باضطراب) ماذا تقول ؟

جـــويا : (يدفعها بعنف إلى الأمام دون أن تكف عن استراق النظر بقلق إلى اليمين) لقد رأيتك من هنا . . فما دمت لا تستطيعين البحث عنه في فرنسا . . هـــه ؟ (تهـــز رأسها نفيا وهى شاحبة) عاهرة !

(يصدها ويخرج غضبا من اليسار دون أن ينتبـــه الى

الأب دواسو الذى يطل من اليمين في هذه اللحظة ـ تتضخم لوحة « الوظيفة المقدسة »)

ليوكاديا : (خلف جويا) فرانشو . . فرانشو !

دواســو : (يخلع قبعته) أنت تعرفين أنه لا يسمع يا سيدتى (تعود ليوكاديا مندهشة . السيد خوسيه إى لاترى قسيس يبلغ من العمر ثمانية وأربعين عاما ، ذو قامة فارهة وشعر غامق يبرز شحوب وجهه الرقيق اللطيف تنم نظرته الحادة وجبهته الصقيلة عن الذكاء ، كما توحى شفتاه المكتنزتان بمزاجه الحسى المتوقد وإن كان يقاومه بنشاطه الدائب ودراسته المعمقة ، يرتدى قلنسوة تغطى قمة رأسه ويلمع على صدره صليب « كارلوس الثالث ») معذرة لأننى صعدت دون سابق إخطار .

ليوكاديا : بل أرجو أن تغفر لى سيادتك صراخى . .

دواســو : (يرفع إحدى يديه) أفهم يا سيدتى .

ليوكاديا : تفضل بالجلوس يا سيادة الأب .

(تشير الى الأريكة)

دواســو : شكرا (يتقدم) من الأفضل هنا ، بعد إذنك (يتجه الى المنضدة) فقدمىّ لا تطيقان الحرارة . (يخــلع معطفه فتبادر ليوكاديا بتناول المعطف والقبعة وتضعهما على مقعد)

ليوكاديا : اسمح لى يا أبى .

دواســو : شــكرا يا ابنتى .

ليوكاديا : تريد سيادتك أن تتحدث مع السيد فرانثيسكو . .

دواســو : بعد أن أتحدث معك يا سيدة ليوكاديا .

(يشير لها بأدب كى تجلس على الأريكة)

ليوكاديا : سيادتك تأمــر .

(تجلس وهو يجلس على المقعد الكبير خلف المنضدة)

دواســو : لم أحضر إلى هذا المنزل إلا مرة واحدة ، لكننى كنت جاركم في شارع « بالبردى » . .

ليوكاديا : أذكر هذا جيدا ، فسيادتك هو الأب خوسيه دواسو إى لاترى . (ينحنى مبتسما) سيفرح السيد فرانثيسكو بلقائك كثيرا . . وأنا خادمتك المتواضعة . . تسعدها كذلك زيارتك يا سيادة الأب .

دواســو : لمــاذا يا ابنتى ؟

ليوكاديا : تعلم سيادتك إلى أى حد أطلقت الشهوات من عقالها ، ممــا يجعلنى أخاف على السيد فرانثيسكو .

دواســو : هل ضايقك أحد ؟

ليوكاديا : حتى الآن لا .

دواســو : ربما يكون قولك حتى الآن من فضول القول ياسيدتى .

ليوكاديا : معذرة يا أبى فأنا لست إلا امرأة جاهلة .

دواســو : لا تعتذرى . فمما يشرفك أن تخافي على سيدك . . فإن لم أكن مخطئا أنت تقومين على خدمته .. كمدبرة منزل منذ نحو عشر سنوات .

ليوكاديا : (تغض بصرها) أجل يا أبى .

دواســـو : (ببرود) والسيد زوجك . أما زال حيا ؟

ليوكاديا : نعم يا أبى .

دواســـو : من المؤسف أنكم لم تصطلحوا خلال هذه الفـــترة الطويلة . . فالزواج الذى تكتنفه الخلافات مـــدعاة للحزن البالغ . . وإذا أذنت لى أن اقول . . فهو ذنب كبير .

ليوكاديا : أعرف يا أبى ، لكنه هو الذى انفصل عنى .

دواســـو : لا أجهل هذا يا ابنتى .

[ليوكاديا : لشكوكٍ لا أساس لها . . صدقنى) .]

(صوت جرس بعيد ، تنظر لحظة ناحية اليمين)

دواســـو : أنا لا أسالك عن شىء يا ابنتى . . فهذه الأمـــور الخاصة لا ينبغى البوح بها إلا في الاعتراف وأمام سيدنا المسيح خلال الصلاة ، إذ أنك تصلين . .

ليوكاديا : (تبادر بالرد إيجابا) كل أيام الآحاد إلى عـــذراء الميناء (تنهض بعصبية) هناك من ينادى . . . بعـــد إذنك ، سأذهب لأرى .

(تمضى إلى اليمين ، ينهض دواسو ويهز رأسه موافقا لكنه يستمر في الحديث ممـــا يضطرها للتوقف) .

دواسو : على ما أذكر فإن أولادك يعيشون معك . .

ليوكاديا : (ملتفتة) أجل يا أبي .

دواسو : لعلهم كبار الآن ؟

ليوكاديا : أكمل « جيرمو » أربعة عشر عاما (يوافق دواسو

باسما) « وماريا ديل روساريو » تسع سنوات ينظر اليها دواسو بإمعان ، فتضيف باضطراب) توشك أن تكمل عشرة .

دواسو : طوبي لأصحاب الأرواح المسكينة (١) . . . سأدعو العذراء ياسيدتي حتى يتلقى هؤلاء الأبرياء القـــدوة الصالحة دائما ويتربون على خوف الله .

ليوكاديا : (ذليلة) شكرا ياسيدى الأب .

(يظهر الدكتور أرييتا من الناحية اليمنى وينحنى)

أرييتـــا : آسف لقطع الحديث .

دواسو : (باسما) على العكس يا دكتور أرييتا . . يسعدني أن أحييك عقب هذه السنوات الطويلة . .

أرييتـــا : طويلة جدا يا أب دواسو . هل يمكننى أن أهنئـــك وأبشرك بما حصلت عليه مؤخرا من شرف وترقية ؟

دواسو : ترقيـــة ؟

أرييتـــا : ألم تعلمى ياسيدة ليوكاديا ، لقد عين الأب دواسو قسيسا خاصا لجلالة الملك وعُهد إليه منذ شهر مايو بالرقابة على المنشورات .

(تنحنى ليوكاديا في تهنئة مهذبة)

دواسو : (باسما بعد هنيهة) إننى أراجوني ياسيد إوخينيو ، وبالتالى فأنا بالغ الصراحة ، ألا تخفى كلماتك لونا من عـــدم الرضا؟

---

(١) ينطقها باللغة اللاتينية ، وهي من الكتاب المقدس فى بداية موعظة الجبل ، انظر انجيل متى . المترجم .

أرييتـــا : (بحذر) لا أفهـــم .

دواسو : هل أخطئ إذا ظننت أنك لم تسر بتعييني قسيســا خاصا للقصر ولا بعملي في الرقابة ؟

أرييتـــا : انني لا أهتم إلا بصحة الأجسام ياسيدى !

ليوكاديا : (بقلق) من فضلكم . . تكرموا بالجلوس . سآمر لكم باحضار شراب الشيكولاته الساخن .

أرييتـــا : ليس من أجلى ياسيدة ليوكاديا ، فقد تناولته منـــذ نصف ساعـــة .

دواسو : لا داعى للإزعاج ياسيدتي . . وتفضلى علينا بالجلوس معنا (تجلس ليوكاديا ويجذو كل من دواسو وأرييتا حذوها ، دواسو يأخذ نفسا عميقا) لا أريـــد أن أستطلع شيئا من أسرارك يادكتور أرييتا . بل أنشد صداقة حقيقية ، فالناس يلزمون الصمت أكثر ممـــا ينبغى في إسبانيا وهذا ليس حسنا .

أرييتـــا : بالفعل يا أبي ، صدر أمر بالصمت العظيم . والرقابة التى تمارسها سيادتك برهان على ذلك . ومن يجـــرؤ على قطع هذا الصمت يدفع الثمن غاليا . [وليست الصراحة بالأمر السهل ، حتى ولو دعتنا لها شخصية شريفة مثل سيادتك . .] لكننى لم أمارس أى نشاط من أى نوع ، اللهم الإ خلال كفاحنا المجيد مـــن أجل الاستقلال . . فانا لست إلا طبيبا فحسب .

دواسو : (يعود للزفير) ولا تريد أن تتحدث إلا عن صحة الأجسام . . [أنا واثق من أنك ستعرفنى أفضل يوما

ما] علىّ أن أفهم إذن عند رؤيتك هنا أن السيد فرانشيسكو مريض ؟

أرييتا : من المحتمل .

دواسو : من المحتمل ؟

أرييتا : انظر الى اللوحات المعلقة على الحائط الخلفى .

دواسو : أهى لوحاته ؟ لقد ظننت للوهلة الأولى أنها رسوم قديمة في الضيعة .

أرييتا : لأنها لا تعجبك ، كما لا تعجب أحدا .

دواسو : (يتأمل الجدران) ليست جميلة . . وفيها عنف شديد ، وسخرية وهجاء مريران . . [وشيء آخر . . من الصعب أن أحدده .

أرييتا : هو الرعب ، إن إحدى وثلاثين من الصمم قد جعلوا الإنسان بالنسبة له حية تفح في صمت

دواسو : أجل ، الآن أرى أنها لوحاته ، لأن] هذا العالم كان قد أطل في رسومه الصغيرة الأولى . .

أرييتا : كانت رسومه تلك ذائعة ، أما الآن فتحت ضغط الصمت الرهيب فإن الفنان يستهلك ويصرخ من أعماق تلك المقبرة حتى لايسمعه أحد .

دواسو : من الخوف ؟

أرييتا : أو من الجنون ، وربما منهما معا ، وأخشى أن ينتهى نهاية حزينة . . فجويا قد أصبح طاعنا في السن .

ليوكاديا : إن الأب دواسو لن يتركنا دون رعاية .

دواسو : (بعد أن يرمقها يوجه حديثه الى أرييتا) هل فكرت في علاج ما ؟

أرييتـــا : للوهلة الأولى الهرب من هذا البئر حيث لا يتنفـــس إلا فوحان المستنقع .

دواسو : أتريد ان تقول من هذا المنزل ؟

أرييتـــا : أريد أن أقول من هذا البلد يا أب دواسو .

(يقطب دواسو حاجبيه)

ليوكاديا : إلى فرنسا .

دواسو : إن المستنقع الحقيقى هو فرنسا . . ألا يمكن شفاء هذا الاسباني في اسبانيا ؟

دواسو : هذا يا أبي ينبغى أن تجيب سيادتك عليه .

(صمت ، خفق جناح طائر في الهـــواء يأخـــذ في الازدياد ، يدخل جويا فجـــأة من الناحية اليسرى ينهضون جميعا ، تهرع ليوكاديا إلى جواره)

ليوكاديا : (ماذا حدث لك ؟)

(ينظر إليها الرسام بعيون زائغة ، دواسو يقترب من جـــويا)

دواسو : بالأحضان ياسيد فرانثيسكو . .)

جـــويا : (ينظر إلى الجميع كما لو كانوا غرباء عنه) الظلام يحل ، أحضرى نورا ياليوكاديا (تهز ليوكاديا رأسها موافقة وتخرج من الناحية اليمنى) لكى يروا الضوء في المنزل (يتبادل الجميع النظرات بحيرة ، يحـــاول

جويا أن يتذرع بالسكينة) وأنني هنا مع أصدقائي ، ومع كلابي . أشكر لك زيارتك يا أب دواسو ، ربما عهدوا إليك ايضا بالرقابة على اللوحات الفنية ؟ (ينفى دواسو بحرارة) لاتخدعنى . فانا أصم والجميع يخدعوننى ، إذا كنت قد جئت لتحكم على لوحاتي فلا تخفى ذلك .

دواسو : (ينكر مذعورا ويفتح ذراعيه) (يابنى جئت كصديق) (ينظر له جويا بارتياب في نهاية الأمر يعانقه بابتسامة حزينـــة)

جـــويا : ابن بلـــدى !

(تدخل ليوكاديا وفي يدها مصباح مشتعل تتركـــه على المنضدة)

دواسو : (أجل ياسيد فرانثيسكو ، ابن بلدك وصديقك)

جـــويا : معذرة لحدتي (ينظر الى الجميع) لا ، لست مجنونا ، لكنى في شدة الغيظ .

ليوكاديا : (لمـــاذا ؟)

جـــويا : رسموا الآن على بابي صليبا .

ليوكاديا : (ماذا تقـــول ؟)

(يهرع الجميع لاستقصاء الأمر من الشرفة ، يبعدهم جويا وينظر)

جـــويا : لقد ذهبوا ، رأيتهم من الشرفة الأخرى (تـــصرخ ليوكاديا وهى ترتجف ، يحاول أريبتا تهدئتهـــــا . يقطب دواســـو حاجبيه) ليخـــرج « انـــدريس «

« وايميليانا » بدلو من الماء وينظفان الباب (تخـــرج ليو كاديا من اليمين وهى في غاية التأثر) موبؤآخر . فرانثيسكو دى جويا ، لقد حدثوني عن هـــــذه الصلبان ! (يسير في الحجرة ويلتفت إلى دواســو بابتسامة مريرة) أصدقاؤك يا ابن بلدى . (ينفـــى دواسو بضيق) معذرة لا أعرف ماذا أقول . هيـــا نجلس (يجلس أرييتا بجوار مدفأة الجمر ودواســو خلف المنضدة) وأنا إلى جانبك كى أقرأ ماتريد أن تقول لى (يمد يده لدواسو بقلم ويجلس على الطرف الآخر من المنضدة) لأنه هطلت أمطار كثيرة منـــذ آخر زيارة لك . . (يهم دواسو بالكتابة) لاتعتذر . أنا أعرف شكوك ضميرك . فلست راهبا ، ومدبرة منزلى مازالت شابة (يهم دواسو بالكتابة) ومتزوجة . (يخفض الأب دواسو عينيه) قل لى أية خدمـــــة يستطيع أن يقدمها لك العجوز جويا ؟ (ينهض أرييتا كى ينظر من الشرفة الغير مرئية ، دواسو يكتـــب وجويا يقرأ) على الطريقة الأراجونية يا أبي . . بمنتهى الوضوح ، هل لزيارتك هدف معين ام لا؟ [دواسو يكتب) سأظل كما أنا على الحالتين (إلى أرييتـــا) هل يمسحون الصليب يا دكتور ؟ (يجيب أرييتـــــا بالإيجاب ودواسو يكتب وجويا يبتسم بتأثر ويضغط على إحدى يدى القسيس) شكرا ، من القلـــب . . لست محتاجا لأية مساعدة (ينظر إليه أرييتا ويتراجع ثم يعود للجلوس ، يؤكد دواسو ما يكتب) لســـت

أخشى هؤلاء الأوغاد ، ولو عادوا فسأصرفهم بطلقات النار (يهز دواسو رأسه ويستمر في الكتابة) أتظن هذا ؟ (دواسو يهز رأسه إيجابا وجويا ينهض) أنا لم أكن ماسونيا على الاطلاق (دواسو يكتب) هذا حقيقة ! نحن على ما يعتقدون أننا عليه . . ! زمن سيء] (تدخل ليوكاديا من اليمين) ماذا وضع على الباب أولاد الكلاب هؤلاء ؟

ليوكاديا : (الصليب)
(ترسمه في الهواء)

جويا : وشيء آخر (تنفى بقلق) رأيتهم يكتبون شيئا تحت الصليب ، ماذا كان ؟ (تتردد ليوكاديا) أجيبى ! (ترسم ليوكاديا بعض الإشارات ، يدمدم جويا بطريقة ماكرة وينظر الى دواسو) إن ماكتبوه يتصل بك يا أبي !

دواسو : (بدهشة) يتصل بي ؟

جويا : لابد أن يكونوا من علماء اللاهوت . . كتبوا « زنديق » (يقطب دواسو حاجبيه) مبارك هذا الوطن ، مختار من السماء ، حتى المجرمين من رجال محاكم التفتيش ! (فجأة تهرع ليوكاديا وتجثوا على قدمى الأب دواسو الذى ينهض ويحاول رفعها)

ليوكاديا : (ارحمنا يا أبي ، لاتؤاخذه بكلماته وانقذه ، قل له أن يكف عن هذا الكبرياء التى يتملكه وأن يتواضع ، أن يتواضع !)

دواسو : (في نفس الوقت)(بالله عليك وبحق القديسة العذراء

ياسيدتي . . اطمئني . . أنت تعرفين أنني جئت لتقديم خدماتي . .)

جـــويا : (في نفس اللحظة تقريبا يقترب مضطربا ويتمكـــن من رفع ليوكاديا) منذ ثلاثين عاما وأنا أشهد ملهاة لا أفهمها . . انهضي (تقف على قدميها وهي تلهث في صمت ، يضع دواسو يده على كتف جويا ويحثه على ان ينتبه ثم يكتب له دون أن يجلس) لاليـــس هناك ما أطلب العفو عنه [(أرييتا ينظر اليه وتحاول ليوكاديا أن تسترق النظر إلى ماكتبه دواسو لكـــن جويا يبعدها) لا تحشري أنت أنفك ! (يوقفـــــه دواسو ويشير بحركة موافقة من رأسه الى أنه بوسع ليوكاديا أن تقرأ هي أيضا ثم يواصل الكتابة) أهذه نكتة ؟ (ينظر إليه دواسو باستغراب) أتطلب عفوا عن اخطاء يعتقد أننا ارتكبناها بالرغم من أنهـــا لم تحدث ؟ ليقم غيري بتجهيز الكرات كي تتصادم عندما يلعب هو « البلياردو » اما أنا فلن أضع راسي بجوار العصا (يكتب دواسو) طبعا ، نحـــن دائمـــا نرتكب أخطاء ، لكن في حق الله ، والعفو لايكون إلا من الله ، لا من الأنف الأكبر (يهز دواسو رأسه بأسى ، ويشير إلى أرييتا بعدة إشارات تحذيرية سريعة) شكرا يادكتور ، لا يهم]

ليوكاديا : (الأب معه حق ، تواضع !)

جـــويا : لن أتواضع أمـــام الملك (تبتعد عنه ليوكاديا بهلع ، يكتب رواسو وجويا

يقرأ) ماذا ؟ (ينفجر الرسام في الضحك ويمشى في الحجرة ، تهرع ليوكاديا إلى المنضدة لتقرأ ماكتب) هل تتحدث عن الحق الالهى يا ابن بلدى ؟ هـــه ؟ (يهز دواسو رأسه بالايجاب) الخضوع للســلطة الملكية ، حتى ولو كانت ظالمة ، لأن الله شــرع للملوك أن يرثوا بحق الدم الأمر في ممالكهم . أهذه عقيدة الكنيسة ؟ (ينظر إليه دواسو بإمعان دون أن يجيب) ما رأيك يا أرييتا ؟ (يشير أرييتا الى الأب دواسو بتحفظ) اسمع يا أب دواسو ! إنك لست قسيسا مغمورا في قرية صغيرة ، ولكنك عالم لغوى كبير ينتظره مقعده في مجمع الخالدين ، وأنت لا تؤمن بهذا (يؤكد دواسو إيمانه بشدة) بلى ؟ . . هل أنت متأكد من أن دم محبوبنا فرناندو ينحدر حقا من سلفه الملك كارلوس ؟ (يزم دواسو شفتيه ويكتب)لكننى أجرؤ على أن اظن شرا . . (يبدأ دواسو في الكتابة بعصبية) لتكن متأكدا أن عذراء « البيلار » لم تثق في طهارة الملكة « ماريا لويسا » (يلقى دواسو بالقلم وهو في ذروة الغضب ويخطو عدة خطوات ،تضرع ليوكاديا إليه بحركات وجهها كى يغفر للرسام وقاحته وهى تنظر لجويا بيأس) لم أقصد أن أجرح شعورك . (ينظر اليه دواسو بأسى)

دواســو : (يسمع صوته جيدا) الداء الفرنسى . .

جــويا : أجل ، ربما تكون قد قلت ذلك ، من ذا يعرف ماذا

قلت ؟ (يوضح دواسو بايماءة من وجهه أنه لا يفهم . يقترب جويا منه بود ويمسك بذراعه) يا ابن بلدى ، حتى لو أردت أن أخضع للملك لما استطعت . سأعصيه !

(يتوقف دواسو وينظر إليه بعجب ، ينهض أربيتا)

دواسو : (كيف هذا) ؟

جويا : عندما اقترفنا عام ١٤ الغلطة الشنيعة بأن أحضرنا جميعا « المرغوب فيه » عدت عندئذ إلى القصر . هل تعرف بماذا فوجئت ؟ أولا بأنني أستحق المقصلة . . ثم . . بابتسامته تلك . . أمرني أن لا أمثل أمام عينيه إلا إذا دعاني (ينظر اليه دواسو هنيهة ثم يسارع بالكتابة وهو يمسكه من ذراعه . يقرأ جويا) أشكرك لكن لا تتدخل (دواسو يكتب) لا . وهذه هى بلواى . هو يستطيع حتى أن ينسى رغبته في أن يذلني بينما ينتظر ذلك ، أما أنا فليس بوسعى أن أنسى أنني في قبضة يديه ، لأن الإعراض الملكى يحطم أى واحد من الرعايا بالرغم من أن الملك لا يتذكره . لكنني ربما استطعت قابعا في هذا المنزل أن أظفر بأن لايفكر فيّ (ليوكاديا ترسم عدة إشارات وهى مذعورة) لا تسيىء للأب يا امرأة ، إن الفلاح الأراجونى لا يبيع فلاحا أراجونيا مثله . لهذا أستطيع أن أقول لابن بلدى ما يحزنني عندما أراه في خدمة هذه الأهداف الشريرة (يكتب دواسو ووجهه مكفهر . ويستمر جويا في الحديث) عندما شرع الوطن في

الانتعاش وبدا في صحوة الحياة أناموه بضربات المطارق . . (ينظر اليه دواسو بحدة . تتحول لوحة «الوظيفة المقدسة» الى لوحة « عراك بالعصى الغليظة » ، جويا يقرأ) حقا . لقد كنا نحن أيضا في غايةالتوحش لكن الأمر كان يختلف . (دواسو يكتب شـــيئا) ماذا ؟ (يشير دواسو إلى المكتوب) ربما يستوى أن نقول . . بالعصى الغليظة (ينكر دواسو ويكتب ، يقرأ جويا ويبتعد كئيبا) طبعا أعرف من كان السيد « ماتياس بنويسا ، قسيس « تاماخون » (يمشى في الحجرة بينما ينظر إليه دواسو بإمعان) كان أبلـــه معتوها مولعا بإغراق الوطن في الدم . . سوف لا تنكر ذلك بالرغم من أنه كان قسيسا مثلك (في هذه الأثناء يكتب دواسو شيئا ويشير إلى الورقة ، يقرؤها جويا بتبرم) لمـــاذا تسألنى عن ذلك ؟ أنت تعرفه مثلى ، كانت أياما خطره ، هجموا على السجن وقتلـــوه (دواسو يكتب كلمة واحدة ، جويا يتردد) . . ضربا ! (ينكر دواسو ، صمت ، يخفض جـــويا صوته) قتلوه ضربا بالمطرقة (صمت ، على يمـــين لوحة « عراك » تبدو لوحة « الكلب ») لكننى لم أقتله ، كما أننى لم أتبع هذه البدعة الشنيعة بإمســـاك العصا والمطرقة في قبضة اليد (دواسو يكتب) أجل كانت من بدع الأحرار ، لكن . . (دواسو يكتب) نعم ، أنا من الأحرار (يتبادلان النظر ، يذهب جويا الى مؤخرة المسرح ويتأمل لوحة « عراك » يقترب منه دواسو وينظر اليها بجانبه ، يتحدث جويا بوقار)

هذا صحيح ، الجريمة تصحبنا جميعا (صمت) يبقى علينا أن نعرف ما إذا كانت هناك أهـــداف عادلة ، حتى ولو صحبتها الجريمة (دواسو ينظـــر اليه) يا له من شرك يا ابن بلدى ! ، لأنك لو أجبتنى بأن الجريمة تمحو كل الحق لكان الهدف الذى تسعى اليه أنت أيضا على غير حق ، ولو قلت لى إنه يوجد حق بالرغم من الجريمة لأصبح نزاعنا قاصرا على معرفة أى من أهدافنا نحن الاثنين أقرب إلى العدل والحق . . هكذا (يشير الى اللوحات) يعـــلم الله وحده كم ستعيش هذه من قرون (يلتفت الى الأمام) لقد رسمت هذه الوحشية يا أبى لأننى رأيتها ثم رسمت هذا الكلب الوحيد الذى لا يفهم شيئا والذى أصبح ضالا بلا صاحب . . ولقد رأيتَ انت هـــذه الوحشية ، لكنك لا تزال في البلاط ، مع السيد . . فأنا كلب يريد أن يفكر ولا يعرف ، لكن بعد أن تتحطم عظامى أزعم أن الأمر كان هكذا : منـــذ قرون عديدة أخذ أحد بالقوة ما ليس من حقه . أخذه بضرب المطارق ، وكان الرد على ذلك أيضا ضربا بالمطارق . . وضربا آخر . . وهكذا الأمـــر حتى الآن ؛ مطرقة في اليد .) يتجه دواسو الى المنضدة ، ليوكاديا تبتهل إليه في صمت . دواســـو يكتب ، وجويا يتكلم دون أن يقترب) لا تلحّ يا أبى ، لن أعود إلى القصر (ترسم ليوكاديا إشارات متضرعة) لكى نرحل إلى فرنسا لا بد من إذن صريح ، فأنا لن أعبر جبال البرانس مثل المهربين (تشـــير

ليوكاديا إلى دواسو بما معناه أنه يستطيع أن يحصل لهم على مثل هذا الإذن لكن جويا يستنكر ذلك ، دواسو يكتب شيئا ويرجوه أن يقرأه ، جويا يقرأ) لا يا أبى. شكرا ، سنمضى هنا أعياد الميلاد . ولن يحـــدث شيء ، ومع العام الجديد سنقرر ما نفعل . لكن قبل ذلك سأفرغ من هذه الرسوم (يكتب دواسو ويمسك بذراعه ، جويا يقرأ ويبتهج فجأة) هل ستأتى حقيقة الليلة السابقة على عيد الميلاد ؟ (يومىء دواســو بالإيجاب باسما ، ولمـــاذا لاتقضى هذه الليلة المباركة معنا ؟ ما رأيك يا ليوكاديا ؟ (ليوكاديا لا تخفى ضيقها منذ أدركت أن الأب دواسو قَبِلَ أن يظل الرسام في الضيعة) ستكون هناك حلوى جيدة من اللـــوز والصنوبر ، ونبيذ معتق كأنه عسل مصفى ، وطبول ودفوف تحطم زجاج النوافذ .

دواســـو : (يعتذر بلطف) (لا أستطيع)

جـــويا : حقيقة هذا يؤسفنى . . لا بد أن لديك واجباتك . . (يهز دواسو رأســـه بالإيجاب) . . في القصر (يخفض دواسو بصره وينظر إليه جويا بارتياب) اسمع يا ابن بلدى ، هل حدثك الملك عنى ؟ (يتردد دواسو ثم يكتب شيئا ينظر إليه اريبتا) هل حدثك : نعم أم لا؟ (دواسو يكتب مرة أخرى) أحيانا أعتقد أن الآخرين أكثر صمما منى (يشير إلى الورقة) لا أفهم كتابتك باللاتينية ، لكنى واثق من أنك لن تقول للملك شيئا عن هذه الزيارة . . (يعود دواسو للكتابة باسما) أمزيد من هذه اللاتينية المعجمة ؟

دواسو : (يشير إلى ملابس الرهبنة بتلطف) (أنا قسيس)
(يضحك جويا ويعانقه القسيس)

جويا : إذن إلى اللقاء في اليوم السابق على عيد الميلاد ياأبي ، سأصحبك حتى الباب الخارجى .

دواسو : (ينحنى أمام أرييتا) (يحفظك الله يادكتور)

أرييتا : (ويحفظ الله سيادتك)

(تناول ليوكاديا الأب دواسوا قبعته ومعطفه وهو يشكرها بايماءة أبوية رقيقة يودعها بها ويترك لها يده تقبلها ثم يخرج من الناحية اليمنى يصحبه جويا)

جويا : (صوته) تغطّ ياأبي فالجو بارد .
(دوىّ زجاج يتحطم . يقع على الأرض حجر ملفوف بورق . تصرخ ليوكاديا . أرييتا يمسك بالحجر . يظهر دواسو متعجلا)

دواسو : ماذا حدث ؟

أرييتا : (يريه الحجر) أنظر .
(تحاول ليوكاديا أن تمسك بدواسو وهو يشرع بغضب في أن يطل من الشرفة)

ليوكاديا : لاتقترب ، قد يقذفون بحجر آخر .
(يعود جويالظهور من الناحية اليمنى)

جويا : هل نسيت شيئا ياأبي ؟ (الجميع ينظرون إليه حتى يفهم ماحدث) حجر ؟

أرييتا : (بورقة)
(يقول هذا وهو يرمق دواسو الذى يقترب ويمد يده)

دواسو : (اعطها لى)

جويا : (يتدخل بحنق) لا يا ابن بلدى.. هذه التذكرة من أجلى .
(ينتزع الورقة ويذهب إلى المنضدة حيث يضع نظارته ويقرأ)

ليوكاديا : (وهى ترتجف) (ماذا تقول ؟)

جويا : نصيحة في فن الرسم ، هم أيضا رسامون (ينظرون إليه بعجب) اسمعوا : ماهو الفرق بين الماسونى وتابع الماسونيين ؟ ارسم مشنقة علقت فيها ضفدعة شمطاء واكتب تحتها : مع أننى لم أسجل اسمى ، الشهرة ترقص . (تتهالك ليوكاديا جالسة ، ينظر أريبتا إلى الخارج) لاتنظر ياسيد إوخينيو ، لابد أنهم يقبعون في الظلام .

ليوكاديا : (احمله بعيدا عن هنا ياأب دواسو . .)

(يهم دواسو بالكتابة ، لكن إشارة من الرسام توقفه)

جويا : لن أخرج من هنا .

دواسو : (يمس جبهته) (هل أنت مجنون ؟)

جويا : لست مجنونا ، والآن اذهب ياأبي ، فهم لن يفعلوا شيئا بقسيس ، لأنهم أتقياء جدا ، ولاحتى لمن يصحبه لهذا اخرج يادكتور مع الأب دواسو ، وسأنتظركما في الثالث والعشرين من هـــذا الشهر (يهم دواسو بالكتابة لكن جويا يقاطعه بحسم) اذهبا في رعاية الله (يزفر دواسو ويضغط على ذراعه بتأثر وعطف ثم يتجه الى اليمين ، ينحنى أريبتا أمام جويا وينضم

لدواسو . تتراءى على ملامح ليوكاديا نذر الشر وهى تتقدمهم لتدلهم على الطريق ، يخرج الثلاثة . صمت ، يسمع من بعيد نباح كلب ويلتفت الفنان فجأة لينظر إلى رسومه ، يسمع صوت دقات القلب البطيئة الصماء ، يستنكر جويا وهو يضغط على أسنانه ثم يدير ظهره للجدار الخلفى كى يقترب من الشرفه غير المرئية) هاقد ذهب أصدقائي . . ومرة أخرى في الصحراء .(تشتد ضربات القلب ويعود جويا لاستنكارها ويبذل جهدا واضحا كى لايسمع شيئا ، تخفت الدقات وتتحول لوحة « عراك الى « اسموديا » ، ومن خلال الضجيج ، يعلو بالتدريج ، بعد أن يبدأ واهنا ، صوت « ماريكيتا »

ماريكيتا : (صوتها السرى) يخرج آخرون من المنزل . . الآن ألا تسمعهم ؟

جويا : (يبتسم بمرارة لكن دون ثقة) لن تكون ليوكاديا (يطل إلى الناحية اليمنى ثم يعود غير راض عن نفسه) لأريد أن أسمعك ، اذهبى ، أعلم أنك غير موجودة . (تكف الدقات ، ينظر جويا باهتمام وبالرغم منه — إلى الناحية اليمنى)

ماريكيتا : (صوتها) أنت لاتعلم . . (يسد جويا أذنيه) حتى لو سددت أذنك . . كيف لاتسمعنى وأنا اسموديا الخاصة بك ؟

جويا : اسموديا ؟

ماريكيتا : (صوتها ضاحكة) يدى تعرف كيف تداعب . . سأحملك الى الجبل . . بل . . بل . . بل . .

جويا : (مغيظا) ماريكيتا !

ماريكيتا : كيتا . . . كيتا . . كيتا . . ماريكيتا . مار . ماراسموديا . . ديا . . ديا . . ديا . . مارسمو . (صمت ، يتقدم جويا الى لوحة الألوان فيمسك بها ويتناول فرشاة ، عندما يهم بالصعود على درج السلم تعود ليوكاديا من الناحية اليمنى وهى تبكى بلا إشارات)

جويا : غدا سأحضر ابناءك (تستنكر برقة) سترين ذلك (تشير في الهواء ، يبهت جويا ويظل ساكنا لحظة وعيناه تلمعان بالشرر ، ثم يترك لوحة الألوان والفرشاة ويتقدم الى الباب الأيمن) اندريس ! ايميليانا ! ! (يخرج ويسمع صوته) يافسقة ، ياثعالب ، أتجازوننى هكذا .... انني آمركم أن تبقوا .. (سكتة قصيرة) يامصاصى الدماء ! (صمت ، يعود جويا) لقد ذهبوا (تشير ليوكاديا بالإيجاب) من أجل الصليب والحجر المقذوف . . (تشير بالايجاب) إنهم أسوأ من الفيران .

ليوكاديا : (تشير بالنفى ويسمع صوتها جيدا) لأنهم ليسوا مجانين !

(ينظر اليها جويا فزعا ثم ينظر إلى « اسموديا » ويعبر المكان حتى يصل الى المنضدة محركا أذنيه .. ويلتفت)

جويا : من ذا الذى سيرعى الحيوانات ؟

ليوكاديا : (تشير إليه بأصبعها) أنت .

جـــويا : [لا ، ولا أنت ستهتمين بحديقة الخضراوات ، ولا بالمواقد] وعليك أن تذهبي غدا الى خانات شـــارع طليطلة لتبحثي عن خدم (ترسم ليوكاديا إشارات) سيجيئون ، هذا منزل طيب (تهم ليوكاديا بالإنكار ، لكنها تنظر فجأة الى الأمام بتهيب) أتسمعين شيئا ؟ (تشير الى الشرفة غير المرئية بفزع ، تعود دقات القلب . يتقدم جويا فتحاول أن تمسك به لكنه يتخلص منها ويصل الى الشرفة) اطفئ هذا النور يا ليـــو (تطفىء ليوكاديا شعلة المصباح ، تظلم لوحات الحائط الخلفى ، يظل المكان مضيئا بنور قمرى غامض) أشباح بجوار الباب . [أعتقد أنهم يرسمون الصليب مـــرة أخرى] .

ليوكاديا : (تكتم صرخة وتشـــير الى الخارج وهى تحـــاكى الطرقات) (إنهم يطرقون الباب)

(تعود دقات القلب سريعة)

جـــويا : لا بد أن نغلق المزاليج ، اسرعى بالاغلاق من الخلف. (يخرج تتبعه ليوكاديا من الناحية اليمنى ، فـــور خروجه تكف دقات القلب في الحال وتسمع طرقات مدوية واصوات وقهقهات)

اصوات : زنديق . . ماسونى . . سنعلقك أنت وهذه الثعلبة ، يا أسود ! سنريك ما هى اسبانيا ، يا خائن ، يا متفرنس ، يا قليل الدين ، سنحطم ما بقى لك من

أسنان ، يا أبله . . سنقطع لسانك حتى لا تسب الدين وحتى تصاب العاهرة بالسعار . .

(قهقهات ، ضربات في خشب الباب الخارجي ، يعود جويا وقد اتقد وجهه غيظا ويقترب من الأمام ليرى الخارج ، عندما يدخل تكف جميع الأصوات المنبعثة من الخارج وتعود دقات القلب بشدة وسرعة . ترجع ليوكاديا بعد قليل من الناحية اليمنى وهي تلوى يدها ، الرسام العجوز لا ينتبه إليها ويشعر بدمائه الأرجوانية الساخنة تجرى في عروقه فيهرع الى عمق المسرح ويمسك بالبندقية ويتأكد بسرعة من تعميرتها ويمضى إلى اليسار ، تصرخ ليوكاديا مستنكرة وتجرى بجانبه)

ليوكاديا : (لا يا فرانشو ، لا ترتكب هذا العمل الجنوني)

(يرفضها جويا ويخرج من اليسار فتتبعه . عند خروجها تكف دقات القلب وتسمع الصيحات الفاضحة أمام باب المنزل)

صوت : (بين قهقهات الآخرين) اطلع يا دمية . . يا ماسوني !

ليوكاديا : (صوتها) فرانشو ، بحق العذراء المقدسة !

صوت : افتحي يا بغي !

(طرقات على الباب)

ليوكاديا : (صوتها) سيسحلوننا ، سيقضون علينا .

صوت : افتح يا أسود ، سنحطم عظامك . . بالمطارق .

ليوكاديا : (صوتها) اعطني هذه البندقية . (تئن) اعطها لي . . !

صوت : هل أنتم في السرير ؟ . .

ليوكاديا : (صوتها وهى تجهش بالبكاء) فرانشو . . ارحمنى . .

صوت : اختبئوا فالغول قادم . .

(قهقهات . تكف فجأة عندما يظهر جويا من الناحية اليسرى تتبعه ليوكاديا ، تعود دقات القلب بمنتهى الشدة ، يبدو أن الرسام قد ارتبك وفقد جسارته . تنزع ليوكاديا من يده البندقية برفق ووجهها ملىء بالدموع ثم تتركها فوق الصندوق ، يتقدم جـــويا ويقف بلا حراك أمام المنضدة بنظرات زائغة . تتقدم ليوكاديا وتقف أمام المجمرة مرتعشة ، ينظر الاثنان الى الأمام بينما تدوى دقات القلب) .

ســـــتار

* * *

الجزء الثانى

ضوء في مقدمة المسرح ، بقية المسرح مظلم ، على اليمين يجلس الملك في مقعده وهو يطرز ، يقف الأب دواسو منتظرا باحترام ، يرمقه الملك من طرف خفى ثم يبتسم ويكف عن التطريز .

الملك : حسنا ، ماذا وراء الأب دواسو ؟

دواسو : سيدى ، السيد فرانثيسكو دى جويا لا يبدو أنه يميل للعودة إلى القصر ، ولا يطمح إلا إلى المعمل منعزلا في ضيعته .

الملك : إنه رسام خصوصى للقصر .

دواسو : أظن ياسيدى أنه يعتقد في نفسه أنه بدأ يضمحل ولأنه لم يسند إليه أى عمل في البلاط خلال العامين الماضيين فأفتكر أنه يفضل ألاّ يفرض على القصر رسوما لا تروق لجلالتكم .

الملك : (ضاحكا) أنت تظن . . أنت تفكر . . لا شك أنك صديق طيب لجويا (برقة) لكننى أيضا أب وصديق لجميع رعاياى . . ماذا قال هو ؟ . .

دواسو : (مترددا) لم أستطع إقناعه ياسيدى بأن يضرع إلى جلالتكم بطلب الفضل والنعمة .

الملك : (بسخرية) أعرف هذا يا أب دواسو . . ماذا كانت كلماته ؟

دواســو : (محرجا) قال إنه . . لمــا كان يعتقد أنه لم يأت بجريرة فلا يجد داعيا لطلب العفو .

المــلك : (يزفر) ياله من عناد ليس هناك واحد من الأحرار يعتقد أنه أتى ذنبا ، هل عرضت عليه شفاعتك ؟

دواســو : أجــل ياسيدى

المــلك : وبم أجاب ؟

دواســو : رجانى . . أن لا أبذل أى جهد من أجله

المــلك : (بعد لحظة) وكيف يعيش ؟

دواســو : كعجوز لا حول له ولا طول ياسيدى ، محبوســا في ضيعته دون أن يعهد إليه أحد بعمل ، يزين الجدران برسوم قبيحة فجة .

المــلك : هل هو مذعــور ؟

دواســو : من ذا يعرف ؟ إنه أصم ومن الصعب الحديث معه . . يبــدو مطمئنا . .

المــلك : مطمئنــا ؟

دواســو : ليس جبانا على الأقل لكن طبيبه يخشى أن يكون ذلك دليلا على جنون صحى .

المــلك : من هو طبيبه ؟

دواســو : الدكتور أرييتا ياسيدى .

المــلك : أرييتا ؟ . . لا أذكر أنه من أتباعنا المطيعين ، لعلــه ماســونى . .

دواســو : لا يبدو أنه منهم ياسيدى

الملك : ماذا يمكننا أن نفعل يا أب دواسو ؟ نفتح أحضان الحب لأبنائنا ويرفضوننا ، وباعتبارى كاثوليكيا متحمسا فإن أكبر رغباتى هى ماتوده ؛ إعادة محكمة التفتيش المقدسة إلى إسبانيا ، ومع ذلك فإننى أؤجل ذلك بقدر الإمكان حتى لا تتطرف الشدة . . لكن الإسبان متمردون . . . لا يخضعون للحكم . . ولا يشكرون المعاملة الحلوة بل يبصقون على اليد التى تمتد اليهم .

دواسو : إنه مما يفعمنى بالخذل أن أتأكد من حسن استعداد جلالتكم . . فإذا أذن لى جلالتكم فإنى أعود الى جويا مرة أخرى أرجوه أن يجثو على أقدام العرش

الملك : (موافقا) اعتمد على امتنانى يا أب دواسو

دواسو : لقد وعدت جويا بأن أزوره في الثالث والعشرين ، وهو اليوم السابق على عيد الميلاد هل أستطيع أن أؤكد له أن جلالتكم قد أبطلتم قراركم القديم ؟

الملك : (باهتمام) أى قرار قديم ؟

دواسو : لقد أسرّ الىّ جويا بأنه في عام ١٤ قلتم له جلالتكم بأنه يستحق المشنقة وأمرتموه أن لا يحضر إلى القصر إلا إذا استدعى بالأمر .

الملك : (باسما) قلت هذا ضاحكا (يزفر) إنهم لا يفهمون كان مزاحا . كيف كان لى أن أعتقد أن جويا يستحق المشنقة ؟

دواســو : (فرحا) أستطيع اذن أن أؤكد له . .

المــلك : (يقاطعه باسما) لا ، بالرغم من كل شيء فقد كان من أنصار الدستور ، زنديق ، معارض لحقوقى المطلقة ، وينبغى أن يلتمس عفوى قبل أن أعطى أنا الخطوة الأولى ، مع أننى تقدمت خطوة حكيمة من خلال زياراتك ، وعلى هذا فإنى لم ألغ أى قــرار سابق ولا أنت تتحدث باسمى ، مفهوم ؟

دواســو : مفهوم ياسيدى

المــلك : أريد فقط أن يتعلم هذا العنيد كيف يقدم الطــاعة الواجبة للكنيسة وللعرش ، أفهمت يا أب دواسو ؟

دواســو : أفهم ياسيدى وأقدر ذلك . . لكننى كنت أريد . . (يتوقف)

المــلك : (بلطف) تكلم يا أبى.

دواســو : يا صاحب الجلالة ، مع أن جويا طلب منى أن لا أشفع له فإن الحب الذى أكنه له يجبرنى على أن أفعل ذلك

المــلك : لكننى إذا كنت أقول لك يا أب دواسو أننى لــن أعاقب جويا وأنه يكفينى أن يطلب العفو . .

دواســو : أعرف ياسيدى ، لكن الصدفة أرادت أن أشــهد خلال زيارتى الأولى له بعض الحوادث . .

المــلك : حوادث ؟

دواســو : رسموا الصليب على باب داره وكتبوا عليه «زنديق»

ثم قذفوا بحجر حطم زجاج النوافذ وقد لف في ورق به سباب وشتائم . .

الملك : (يقطب حاجبيه) من هم ؟

دواسو : لم نرهم ياسيدى ، كان الظلام قد حلّ

الملك : (متأملا) لا بد أن نضع حدا لهذا الإفراط . .

دواسو : إن هذه الأيام ياسيدى قد تنتشر فيها أعمال الأذى أكثر ، وأنا أخشى على ابن بلدى وأريد أن أحول بينه وبين ذلك . فلو تفضلتم جلالتكم وأذنتم لى أن أكون أكثر صراحة معه . .

الملك : بالغ له في الأخطار يا أب دواسو فربما أقنعه ذلك بطلب النعمة . . ألم تخفه الحوادث ؟

دواسو : بالعكس ياسيدى ، أثارته .

(صمت)

الملك : إن سفلة الشوارع لن يجرؤوا على أكثر من ذلك . . لكن بالغ لجويا في الأخطار ، فالخوف أيضا فضيلة مسيحية (يرفع رقعة التطريز ويضرب غرزة) هل قلت لى إنك ستزوره اليوم السابق على عيد الميلاد ؟

دواسو : في الثالث والعشرين ياسيدى

(صمت ، يضرب الملك غرزة أخرى)

الملك : إننى واثق ياأب دواسو أنك ستجعله يتقبل حمايتنا . وإذا لم تستطع هذه المرة أيضا أن تظفر بذلك فسنظل صابرين على هذا العنيد . . (غرزة) لكن لا تذهب قبل الثامنة مساء .

دواســو : (بحيرة) سأفعل هذا ياسيدى .

المــلك : (يودعه برفع يده اليمنى) شكرا لعونك يا أب دواســو .

(يستغرق في تطريزه ، يجثو دواســو على ركبتيه ثم ينهض ويتقهقر ، ينطفىء النور أصوات جــوقة من القهقهات اليسيرة ، تبدأ في الالتماع على الحائط الخلفى لوحات «الفضوليات» و «اجتماع الساحرات» «وجوديت» تبدو قامة الرسام وهو منتصب على السلم كشبح ضد الضوء . تضاء الحجرة ، يظهر جــويا متدثرا من البرد بعباءة منزلية قديمة وهو يرسم في الآنسة الجالسة التى ترى على يمين «اجتماع الساحرات» من حين لآخر يقشعر بدنه وينفخ أصابعه تبدو المنصة بلا مجمرة وقد فتحت فاها تدل جوقة الضحكات الهينة المتكاثرة الملحة الغامضة على الوحشة التى تلف العجوز . يتوقف جويا كى يسمعها ثم يهــز رأســه ويستمر في الرسم)

جــويا : خيالات (تبرز من بين أصوات الجوقة المبتهجة ضحكتان نسائيتان ساخرتان ، لن أسمع : (يركــز انتباهه في مهمته . تنضم إلى الضحكات أصــوات نعيق البوم ، يتوقف جويا مغيظا) تكفى العزيمــة لتذهب الضوضاء .

(يرسم وهو يشير إشارات غامضة بالنفى ، تخفت أصوات الضحكات ونعيق البوم . قهقهة عالية تثير

استنكار الرسام الصامت ، يضعف الضجيج حتى يتلاشى .

يتحقق جويا من الصمت ويزفر ، ينفخ أصابعه ويمسك بالفرشاة ويعمل .

ماريكيتا : (صوتها) لا . (يتوقف جويا في الحال وينصت) أنت لا تستطيع أن تسكت الأصوات (يهز جويا رأسه بتوتر ، صمت ، هل أنا التي ترسمني ؟(ينظر جويا بدهشة إلى الصورة التي رسمها) تقول ليوكاديا إنها هي ، لكنها أنا ، طفلة لا تخشى الساحرات . وهي أكبر ساحرة فيهن !

(يضحك)

جويا : (يخفض رأسه) إنه الصمم

ماريكيتا : (صوتها) لا أعتقد ذلك

جويا : الصمم

ماريكيتا : (صوتها) إنني أنبهك إلى أشياء تحدث دون أن تراها . . رحيل الخدم .

جويا : بوسعي أن أحدس بها

(سكتة)

ماريكيتا : (صوتها) عمّ كنت تبحث في المنزل ؟ . . في خزانتها ، تحت وسادتها .

جويا : لا أريد أن أسمع

(يتأهب للرسم)

ماريكيتا : (صوتها) لم يعودوا يقذفون الحجارة ، ولا يرسمون

الصلبان . . (جويا الذى توقف مرة أخرى لسماعها لا يقول شيئا ، تعود البوم للنعيق ثم تطغى عليها القهقهتان النسائيتان الساخرتان ، يترك جويا لوحة الألوان ويسد أذنيه) إنها تتأخر . . (ينزل جويا من فوق السلم وهو ينفخ أصابعه وينظر الى الطريق عبر الشرفة غير المرئية ، الصوت يهمس ، تتأخر دائما منذ عدة أيام . . (جوقة الضحكات اليسيرة)بالأمس كنت تصر على أن تخرج للربى .

(صمت) لتبحث عنى

جويا : لست مجنونا ، أنا أعرف أين هى ماريكيتا

ماريكيتا : (صوتها) ها أنذا . . لكن طفلة الألف عام . . في الربى (يعود الرسام للمنضدة ويجلس باكتئاب)عندما عدت بالأمس لاحظت شيئا آثار زيارة ما . .

ربما كانت رائحة (صمت) ابحث عن « الزرار » (يقفز جويا بغتة ، يضحك الصوت) لم تبحث في حافظة الأشياء الثمينة

جويا : ربما يكون قد سقط . .

ماريكيتا : (صوتها) من الجاويش ذى الشوارب ، كان يدور حول المنزل هذا الصباح ورأيت أن سترته ينقصها زرار

جويا : سقط منه

ماريكيتا : (صوتها) من المحتمل أن يكون قد أعطاه لها كهدية .

جويا : أنا أهذى ، لكنى أعرف هذا ، فبالرغم من أننى

أتحدث اليك فأنت لاتوجدين . لمـــاذا أتعذب ؟ لن أبحث عن الزرار .

(جوقة من القهقهات الخفيفة يبرز منها صوت)

امـــرأة : (صوتها) لا تبحث أيها المحتضر ، ماذا بقى لك على الأرض ؟ حتى ولا نحن .

امرأة أخرى : (صوتها) لا تبحث عن الزرار ، ابحث عن ذكرانا .

امـــرأة : (صوتها) أنت وحدك

امرأة أخرى : (صوتها) قلد هذا الأبله المسكين في لوحتك

(يضحك الصوتان)

امـــرأة : (صوتها من خلال الضحكات) اعترف بأنك ترغب في هذا . .

(يشير جويا بالإيجاب مرة تلو الأخرى وعينـــاه مغمضتان ووجهه مكفهر)

امرأة أخرى : استمتع بهذا ما دامت هى قد هجرتك

امـــرأة : (صوتها) لن نضحك

(ينهض جويا ، يصوب نظرة زائغة إلى لوحـــة « الفضوليات » ويتجه إلى اليسار ، عندما يشرع في الخروج يسمع صوت ماريكيتا)

ماريكيتا : (صوتها) لست عجوزا بعد ياسيد فرانثيسكو ، هل ستبحث عن الزرار أم ستحبس نفسك لكى . . . . تتذكر (جويا يتردد) لو كان في حافظة المجوهرات هل تثق فيّ ؟

المـــرأتان : (صوتهما) أنت وحيد . ! .

(يخرج جويا ، صمت طويل . تتحول خلاله اللوحة الوسطى إلى لوحة « القاصدات » يسمع من الجانب الأيمن لهاث شخص يصعد سلما بصعوبة ، وعند الوصول إلى هذا الطابق يتوقف لأخذ نفسه ويدخل . إنها ليوكاديا . شعثاء الشعر . بادية الإجهاد نتيجة للأعمال الشاقة التى اضطرت للقيام بها عقب رحيل الخدم . . توشك أن تكون قبيحة الشكل ، تلقى على كتفيها دثارا من القماش وتحضر في يدها المجمرة مشتعلة وتحت ذراعها مكنسة . وعندما لاترى جويا تندهش قليلا . ثم تترك المكنسة لتقع على الأرض لكى تتمكن من وضع المجمرة على المنصة ثم ترفع غطاءها وتسعرها بالتحريك قليلا ثم تذهب لتنظر بعينين مجهدتين من الشرفه . تتنهد وتتراجع لتمسك المكنسة بأنين واه ينم عما تشعر به من وخز في العضلات . تقشعر من البرد وتتجه إلى اليسار لتكنس ، ولكنها قبل ان تبدأ ترمق الباب فلا تسمع شيئا وتشرع في الكنس بدون نشاط . وبعد لحظات تلتقى نظراتها ــ صدفة بلوحة « الفضوليات » فتترك الكنس بقلق . ثم تنظر بارتياب إلى اليسار . تعود لعملها لكن يلاحظ عليها أنها تفكر بضيق فيما عسى أن يفعله الرسام في هذه الاثناء . يعود جويا بعد لحظات . يبدو منتصبا تشع من عينه نظرات براقة وقد أغلق قبضة يده وأخفاها في جيب معطفه . يمكن ان يقال إنه قد استرد طرفا من شبابه . يتبادلان النظر لبضع لحظات) .

جويا (بحدة) لقد تأخرت (تشرع في رسم علامات مجهدة لكنه يقاطعها بحركة جافة) أعرف . شراء أحطاب ، تقديم العلف للجياد . . (تستأنف ليوكاديا الكنس ، يتقدم جويا وهو ينظر إليها بغضب) لا أريد نظرات شهداء ، سيأتى الخدم (تنفى بوهن) ستحضرهم « جومير سيندا » (تترك الكنس وترسم إيماءة احتقار ، يذهب الى الشرفة ، يخرج يديه من جيوبه ويفركهما باحثا عن كلمات ، تلاحظ توتره وتنظر إليه في قلق ، ألم يأت ساعى البريد ؟) يلتفت لينظر إليها ، تفتح ذراعيها دليلا على النفى الواضح . يسألها جويا بنعومة) وبالأمس : ألم يأت أحد عصرا (بعد لحظة تشير بالنفى . يخطو جويا عدة خطوات سريعة نحو المرأة ثم يتوقف. تتراجع ليوكاديا مذعورة لتعبير وجهه . ولكنه يحول نظره عنها ويجلس على الأريكة مادّا يديه على حرارة المجمرة ، تسترق النظر إليه وهى تستأنف الكنس ، تصاب بالاضطراب المفاجىء عند سماع صوت جويا) تعالى هنا (تنظر ليوكاديا إليه بتفهم وتترك المكنسة في الركن وتقترب منه ، يكلمها جويا دون أن ينظر إليها وعيناه مثبتان على المجمرة) ألا زلت خائفه ؟ (تشير بالإيجاب وهى مترقبه ، ينظر إليها) هه ؟ (تعود مرة أخرى وتشير بالإيجاب) يمكنني أن أقول لا (تتردد غير واثقه) صرت لا تتحدثين عن ترك المنزل . . ! (تهز ليوكاديا رأسها بتعب معبرة عن عدم جدوى النقاش وتهم بالابعاد) انتظرى (تتوقف مرتجفة وترسم عدة إشارات) لو كانت

المواقد ستنطفىء فلتنطفىء . . ولنأكل من لحم الفخذ المقدد . لماذا أصبحت لاتخافين ؟ (هى لاتوفق في الإجابة) أليس هذا فريدا ؟ فجأة في غاية الرضا عن الاستمرار بين هذه الجدران . الفارسة الجسور ، المدللة التى تحلم بفرنسا تعمل مثل البهيمه ، تتلوث في المطبخ ، ولاتجد الوقت حتى لتتمشط وتتزين . . لكن دون شكوى . . . . (صمت قصير ، تجلس ليوكاديا بجوار الرسام تتابع كلماته) ولم تعد هناك صلبان على الباب ولاأحجار في الزجاج . . . مع أننى لم أحالف أى أحد (بنعومة شديدة) أفعلت أنت ذلك ؟ (تخفض ليوكاديا بصرها ويرتفع صدرها لتنفسها المضطرب) ألا تجيبين ؟ (تنزلق يدها ، تأخذ بيده على الأريكة) هل هذه إجابتك ؟ (ترفع ليوكاديا يد جويا وتطبع على باطن كفها قبلة طويلة ماذا تقصدين ؟ (تحمل ليوكاديا يد الرسام إلى خدها وترسم عدة إشارات ، يبتسم جويا بمرارة) أتقولين أنك تحبيننى ؟ (تشير بالإيجاب وهى تداعب وتقبل يده) . إذن أجيبى عن سؤالى . (تبدر منها إشارة يائسة فتضمه إليها وترسم عدة علامات) وماذا أفعل منذ أعوام غير حمايتك ؟ (تحتضنه ليوكاديا وتبكى) .

ليوكاديا : (فلتظل تحمينى . . عليك أن تفهم . .) تقبله قبلات حانية على خديه لا تلبث فجأة أن تتحول إلى قبلات ساخنة ، تعانق العجوز وتملأ وجهه بدموعها تقبلـــه في فمه . ينزلق جسمها لتجلس على ركبتيه ، تقبض

بعصبية على إحدى يدى جويا وتمر بها على جسمها .. تنحنى بجذعها وتجر معها الرجل لكن جويا يصدها بقوة وينهض ، تمد له ذراعيها ضارعة . ثم لا تلبث أن تخفضهما وتظل بلاحراك ، (أنقـــذني ! . .)

جـــويا : عاهرة ! (تنفى باكية ، يبحث جويـــا في جيبه ثم يخرج زرارا معدنيا يريه لها ، يبدو الفزع في عينيها كأنها حيوان متهم وتوشك أن تصرخ ، تنبعث من جويا إشارة مؤكدة ، يذهب إلى المنضدة ويـــترك الزرار فوقها ، هنا أفضل ، بلا قناع . الزرار الذى وقع من سترة هذا الحقير تحفظينه أنت في علبـــــة المجوهـــرات

(تنفى بطريقة لاتكاد تلاحظ ورأسها منكسة ، في نفس الوقت الذى يسمع فيه صوتها في الهواء مما يزعج جويا للحظـــات)

ليوكاديا : (صوتها) خـــذني !

جـــويا : شاب فتىّ ، هه ؟ وسيم . قوى . . كنت ترتجفين من الخوف كان ينقصك كل شيء ، وفجـــــأة حصلت على كل ماتتمنين . . الفحل الذى كنـــت ترغبينه والأمـــان في هذا البيـــت ، في مقابل ذلك جسمك ، لكنك تمنحينه راغبة .

(تنفى وشفتاها مزمومتان ، يسمع من جديد صوتها في الهـــواء)

ليوكاديا : (صوتها) اجعلنى لك .

جـــويا : لا تجرئي على الإنكار ، ولا على أن تمثلى معى مهزلة الحب ، فأنا لن أغفر لك ذلك ، تستسلمين لى كعجوز قذر بينما تفكرين فيه .

(تنفى بغيظ ، بينما يسمع صوتها في الهـــواء)

ليوكاديا : (صوتها) أنت عجوز قـــذر . .

جـــويا : (مغيظا لسخرية عقله منه التى تجهلها هى ، لقد تسمر في ذهنك منذ تمرغت معه بالأمس في نفس هـــــذا المكان !

(تنكر وترفع يديها في ابتهال ثم تجثو على ركبتيها ، لكن صوتها يسمع في الهـــواء)

ليوكاديا : (صوتها) لديك ستة وسبعون عامـــا

(يستعر جويا غضبا ويتقدم نحوها بيدين متوعدتين)

جـــويا : قحبة مقززة (يمسك بخناقها لكنها تستطيع الإفلات منه وتنهض متقهقرة وهى مذعورة . تتغير ملامـــح وجه الرسام وهـــو يكافح كى لا يبكـــى . يلتفت ويهمهم بصوت خفيض) ستة وسبعون عاما (تدور ليوكاديا من حول المجمرة كى تواجهه من بعـــــد وعيناها مفتوحتان للغاية ، وتشرع في رسم بعـــض الإشارات الهجائية التى لايريد هو رؤيتها ، تقترب قليلا منه) ، دعينى وحدى (تتوقف ، ثم تقترب مرة أخرى ببطء ، ينظر هو إليها بكره وحزن) اذهبى ! (هى تستنكر وتبدأ إشاراتها الحزينة . تـــومئ إلى الخارج – إلى الحبيب المزعوم – وإلى نفسها ، تضم سبابتيها وتهز رأسها بالنفى ، ثم تقبل سبابتيها على

شكل صليب وترفع يدها اليمنى علامة على القسم)
ادخرى أكاذيبك (تعود ليوكاديا لتقبل يدهـــا على شكل صليب وللنمى بشدة ، تجرى نحو المنضـــــدة وتتناول الزرار المعدني وتريه له . جويا ينظر إليـــه بتمعن . تشير هى الى أرضية المنزل وتنفـــــى . ثم تشير إلى الخارج . صوت جويا يرن رهيبا)لم تعثرى عليه في تراب الطريق بل أعطاه هو لك (هى تؤكد بشدة) إذن ؟

(تتنهد ليوكاديا وتشرع في متابعة حركتها وتكرر أنها لم تعثر عليه في الأرض ثم تشير إلى الخارج وترسم في الهواء شكل قنطـــرة)

ليوكاديا : (القنطـــرة)

جـــويا : أعطاه لك على القنطرة ؟ (تشير بالإيجاب) كـــان يصحبك (تخفض رأسها مشيرة بالإيجاب) ولم تكن هذه هى المرة الأولى لانه غازلك من قبل .

(توافق بضعف ، ينزع جويا الزرار من يدهـــــا ويستعرضه) وتقبلين هديته ! (يتودد وجه ليوكاديا وترسم علامات وجيزة . صمت . يترك جويا الزرار على المنضدة) من الخوف ؟

(تومئ بالإيجاب ، لكنه يجذبها بشدة فجأة) ولماذا لم تقذفيه في النهـــر ؟

ليوكاديا : (تهز ذراعها الموجع) (أنت تؤذيـــنى)

جـــويا : (يتركها بعنف) أباطيـــل !

ليوكاديا : (تنفى وتشير إلى الخارج) (هو . .) (تشير إلى

نفسها) (إلىّ) (تصف يداها حركات حلزونية تخرج من فمها) (قال لى) (تشير بإصبعها إلى الخارج وترسم علامة مسافة الى المنزل ، إنه سيأتي) (تشير إلى الأرض) (هنا . .) (إشارة مبهمة) (يوما ما) (تشير الى المنضدة وتقلد حركة شيء) (ليأخذ الزرار)

جويا : أنه سيأتي هنا يوما ما لتعيدى له الزرار ؟ (تشير بالإيجاب وهى محمرة) أنت تكذبين !
(لكن صوته ينم عن الشك ، تضع هى إحدى يديها على قلبها وترفع يدها الأخرى)

ليوكاديا : (أقسم لك بأولادى)
(ينظر إليها جويا بتردد ، بينما تذهب هى للجلوس منهكة بجوار المجمرة ، لكن قبل أن تصل يسمع صوت جويا في الهواء)

جويا : (صوته) من ذا كان يصدق !
(صمت قصير ، يسمع مواء خفيف ، يعتمد جويا على المنضدة وهو ينظر الى ليوكاديا ، تسدد اليه نظرة مبهمة من طرف خفى وتخفض رأسها ، تظل صامته بالرغم من أن صوتها يسمع في الهواء في دفقات رنانة توشك أحيانا أن تتلاشى)

ليوكاديا : (صوتها) ألا تصدق جوديث الخاصة بك ؟ يهوذا . . ؟ سأقضي عليك ستتناول جوديث السكين بينما تموء القطط وتخفق الخفافيش وتشرب دمك ويهوذا يقبلك وهى تقبلك وتغرس حد السكين وتصرخ بأنك أردت

أن تخنقها وكان عليها أن تدافع عن نفسها . أنت تخاف جوديث وتخاف الملك، الملك هو أعمدة المقصلة وجوديث هى الجحيم . .

جويا : (يضغط على أذنه ويحدث نفسه) كيف أعرف ؟. .
(تنظر إليه ليوكاديا هنيهة ثم ترفع محراك المجمرة وتقلبها بحزن مبتذل . لكن صوتها يسمع مرة أخرى في الهواء)

ليوكاديا : (صوتها) ياأبا فصاد ، لن تملكنى بعد الآن ، إن مخالبك الهرمة لن تعمر صدرى ، وإن لثتك لن تبلّ كتفى ، أنياب أخرى تنتظرني ، أذرع ذهبية ، سنذبحك في الظلمات ، وسيكون هذا هو منزل الإعلان الكبير عن الجريمة ، ستشرب الثلج بين مواء القطط ، وسيصاب شيبك بالحمى تحت شعار الهزء والسخرية..(يأخذ جويا في الاقتراب منها يمسك بشعرها ويدير رأسها كى يسلط عينيه في عينيها)

جويا : كيف لى أن أعرف ؟
(بينما تنظر إليه وقد زمت شفتيها يتذبذب صوتها في الهواء مثيرا بعض الأصداء)

ليوكاديا : (صوتها) كفن من النار يلفك . . يلفك ، من ثلج ستراني أعبر ضاحكة على صهوة الحصان . . من كفنك الثلجى . ثم ينمحى أثرى . . من الهواء . . وأنت تعض . . شرايينك ، يجف . . حتى هيكلك العظمى . . من الثلج (قبل لحظات تحول « ليوكاديا » بصرها منصته لشىء ثم تشير الآن إلى اليمين)

(هناك من ينادى) (لكى تنزع الرسام من تهويماته تمس ذراعه) (هناك من ينادى) (يعود جويا ببطء من هذيانه)

جويا : ينادون ؟ (تشير بالإيجاب ، يومىء إليها كى تنتظر ويذهب لينظر من الشرفة وهى تنهض بترقب ، إنه الدكتور أرييتا .

(تخرج ليوكاديا من الناحيـــة اليمنى ، ويستغرق جويا في تأمله أمام الشرفة)

ماريكيتا : (صوتها واهنا) إن الزرار لايكون هدية في الشارع بل في المضجع (يغمض جويا عينيه دون أنيتحرك) ابحث عنى ، لست عجوزا بالنسبة لى ، الآباء ليسوا كبارا على أبنائهم . . أسموديا عندها ألف عام . . سأحملك من يدك يابنى ولن تعود .

جويا : (يغمغم باكتئاب) لا لن أعود (يلتفت ببطء ، يدخل من اليمين ليوكاديا وأرييتا) أهلا سيدإوخينيو تفضل بالجلوس . مما يبعث على العزاء أن يتذكر الأصدقاء الإنسان (يشير أرييتا إشارة لطيفة ويتجه إلى المجمرة وهو يرسم بعض العلامات ، ينظر جويا إلى ليوكاديا) أجل . . خرجت بالأمسلأتنزه في الربي .(يرسم أرييتا بعض الإشارات بينما يجلس) لاتشغل نفسك ، لقد تركونا في سلام (تبدر من أرييتا إشارة شك ، يبدو مجهدا) ليو ، أحضرى النبيذ الحلو حتى ولو اعترض الدكتور (الدكتور لايعترض ، يلاحظ جويا باهتمام ، تخرج ليوكاديا من اليسار ، يجلس الرسام قريبا من لفح المجمرة

ويمد يديه عليها) هل أنت مريض ؟ شكلك مجهد (ينفى أرييتا بوهن) هل حدث شيء ؟ (يجيب أرييتا بإشـــارة مبهمة ويرسم بعض العلامات) ، شكرا ، أنا بخير (يرسم أرييتا إشارات) أحزان . . حاجاتى الخاصة (يرسم أرييتا إشارات أخرى) أيضا ومن أجل « ثاباتير » فلم يبعث لى بخطاب حتى الآن (صمت قصير ، الدكتور يشـــير إليه ، يومىء إلى أذنيه ويشـــير إشارات مبهمة دائرية في الهواء ، يتريث جـــويا قبل الإجابة) بعض الأصوات . . من حين لآخـــر ، لكنى لا أهتم بهـــا (يرسم أرييتا إشارات مختصرة) على الربي . . ماذا ؟ (يشـــير أرييتا الى عينيه ويصف بيـــديه حـــركة الطائرين تدخل ليوكاديا بالصينيه والجرة والكؤوس المليئة ، ينهض الدكتور ، تقدم ليوكاديا الأقداح وهم يتناولونها) .

أرييتا : (شكرا ياسيدى)

ليوكاديا : (بينما تهم بترك الصينية على المنضدة) (سأتركك معه يادكتور ، فمازال على أن أعد الطعام ، هل تسمح لى ؟)

أرييتا : (أنت صاحبة الامر ياسيدتي)

(يرقبهما جويا وهما يتحدثان فتثور في نفسه الشكوك التى لا يستطيع تفاديها الأصم ، تأخذ ليوكاديا في طريقها المكنسة وتريها لأرييتا)

ليوكاديا : (لم أستطع الفراغ من الكنس . . فلم يأت خدم)

(ينحنى أرييتا وهى تخرج من الناحية اليمنى ، يعود الدكتور للجلوس ، صمت)

جـــويا : (ينظر إليه من طرف خفى ويقرر الكلام) لم أعـــد لرؤية الإنسان الطائر إن كنت تسأل عن ذلك (يشير أرييتا موافقا) وأنت ياسيد إوخينو ماذا رأيت ؟ (يهز الدكتور كتفيه بحزن) أحبال المعتقلين .. سباب الأنذال ، وربما أموات في المهد . . (يخفض أرييتـــا بصره) الناس وحوش . . وشيء آخر لا أعرف كيف أقوله . . شيء آخر . . ألاحظه منذ أن فقدت السمع ، لأننى دخلت في عالم آخر . . في العالم الآخر (أمام فضول أرييتا الصامت . نعم ، الناس يضحكون يتلمظون عند الكلام ، . . وأنا أراهم أمـــواتا . . . وأتساءل : ألا أكون أنا الميت ؟ الذى يشهد سريان الدود في الجثث ، أنا كنت أعشق الحياة ، والأكلات الشهية في المروج والألعاب والأغانى والموسيقى . . . ثم جاء الصمم فأدركت أن الحياة موت . . صورة « كونتيسة » تضحك وتهتز في صمت . إنها تمثـــال متحرك . . وبينما تعانقنى تقول أشياء أجهلها وأنا أقول لها كلمات حانية لا أسمعها إلا داخل جمجمتى انظر الى عينيها وأظن أنها لاتسمعنى هى الأخرى . . وفي الحرب رأيت الناس يصرخون ويبكون أمام الدم والأعضاء المبتورة . . وكانوا نفس الشيء ؛ تماثيل متحركة ، كانت القنابل تنفجر وأنا لا أتصور إلا ضحكة كبرى . . . لهذا فانى أحب الناس كثيرا ، لأننى لا يمكن أن أندمج معهم تماما ولا أن يندمجـــوا

هم فيّ . إنني أحبهم لأنني لا أستطيع أن أحبهم . لقد نسيت صوت ولدى « باكو » ولا أعرف صوت « ماريانيتا » ولا « ماريكيتا » ولم أسمع أبدا صوت « ليوكاديا » وسأموت وأنا أتخيلهم ، ماذا أعرف أنا عند هذه المرأة ؟ (يخفض صوته) وماذا أعرف عنك ؟ . . خيالات ، هل أتحدث حقيقة مع أحد ؟ (حركة من أريبتا) أعرف ، شبح أريبتا سيقول لى انني أصم ، لكن كل هذه الغرائب . . لا بد أنها تعنى شيئا آخر (يشير أريبتا بالإيجاب) نعم ؟ أهذا شيء آخر ؟ (يؤكد أريبتا بشدة) ما هو ؟ (يرسم أريبتا بعض إشارات ، يفكر جويا لحظة) أكلنا صمّ ؟ (يوافق أريبتا) لا أفهمك . . (يهم أريبتا برسم بعض الإشارات يوقفه بحركة منه) أجل ، أفهمك ، يالنا من مساكين ! (يتنهد أريبتا) والأسرة ليست عزاء ولا سلوى ، فهى أيضا تذهب ، . ماتت منى « بيبيتا » ومات لى أولاد آخرون . . ولو كبروا لكان الأمر أسوأ . (يندهش أريبتا) لست أعمى ، فباكو شاب متألق رأسه محشو بالريح ، تحلم بأنهم سيصبحون آلهة عندما ما يكبرون . . فاذا ماكبروا أصبحوا حمقى أو أوغادا . وباكو ابنى . . ليس الا ذكرى ، لطفل جميل . . ذى زقزقة تفرح مهجة القلب . . وكنت منذ سنوات طويلة . . ياإلهى ما أكثرها ! أعلمه كيف يثبت خطواته الأولى ، لقد مات هذا الطفل ، وربما أصبحت ماريكيتا غبية مريرة ، إن لم يقتلوها منى قبل ذلك في حرب أخرى

. . ستكون رسامة عظيمة ، لكن . . ما هو هـــذا ؟ لا شيء ، أنا أعرف ذلك جيدا (إنه يبكيء ، يضع أرييتا يده فوق يده ، تنبعث من جويا آهة تمـــزق نياط القلب) لمـــاذا نعيش ؟ (أرييتا يشـــير له إلى الجدران بحركة دائرية) كى نرسم هكذا ؟ هـــذه الحيطان ترشح بالخوف (يندهش أرييتا) خـــوف ، أجل ، ولا يمكن أن يكون جيدا هذا الفن الذى يولد من الخوف ! (يشير أرييتا بالإيجاب) أليس كذلك ؟ (يرسم أرييتا بعض الإشارات) ضد الخوف ؟ . . (يهز أرييتا رأسه موافقا) ومن الذى ينتصر في هذه الرسوم : الشجاعة أم الخوف ؟ (أرييتا يتردد) كنت أستمتع وأنا أرسم الأشكال الجميلة ، أما هذه فليست إلا يرقات ديدان . لقد شربت جميع ألوان العالم ، وعلى هذه الحيطان تشرب الظلمات الألوان ، لقد عشقت العقل وها أنذا أرسم الساحرات . . إنها رسوم عفنة . (ينهض ويسير في الغرفة ، يرسم أرييتا بعض الاشارات) أجل ، في أسموديا يكمن شيء من الأمل ، لكنة ضعيف . . إنها حلم (يرسم الدكتور إشارات أخرى مشفقا على الرسام ، جـــويا يبتسم بحزن) ربما كان الرجال الطائرون ليسوا سوى بعض الطيور ، حلم آخر) (ينكس أرييتا رأسه ، يشـــير جويا الى الحائط الخلفى) انظر الى القاصدات والساحر الكبير يضحك بينهن ، إذن هناك من يضحك ، فكل شيء يبدو رهيبا مفزعا لدرجة أنه لا بد من ضحكة كبرى . . هذه الدمية التى تمسك بها واحدة منهن

هو أنا . . لقد عشت . . ورسمت . . فما الفائدة ؟ سوف يقطعون الحبل ويضحك الساحر وهو يرى مزقة اللحم المسماة جويا ، لكنني توقعت ذلك ، هذا هو ! (يرسم أريبتا بعض الإشارات) لماذا الرحيل عن إسبانيا ؟ لن أضرع الى جبان نذل ، سأرسم خوفي ، ولكن خوفي لن يجلدني على إليتي (يمسك بقدحه الذى كان قد تركه على المنصة ثم يعبه دفعة واحدة) هل نسكر ياسيد إوخينيو ؟ (ينفى أريبتا بحزن ، وجويا يضغط على ذراعه بتهور) معذرة ، لقد غممتك !

أريبتا : (مستنكرا يرسم إشارات) (بل هى أحزانى !)

جويا : ادفنها في النبيذ (يهم بأن يتناول قدح الدكتور لكن هذا يوقفه بملامح وجهه المضطربة ، ينظر إليه جويا بفضول ويقترب من المنضدة ويصب لنفسه نبيذا بينما يراقب صديقه من طرف خفى) منذ دخلت وأنا ألاحظ أنك مكروب (ينظر اليه أريبتا ثم يحول بصره عنه . يرشف جويا جرعة) لديك أنباء سيئة .. لاتخفيها عنى (ينفى أريبتا ويرسم إشارات . . جويا ينظر اليه باهتمام شديد ويجرع كأسه مرة واحدة ثم يضعه بغضب على المنضدة) لك ؟ (يتقدم ناحية الدكتور ، فيشير أريبتا بالإيجاب بعينين ذابلتين) متى وضعوا لك الصليب ؟ (إشارات من أريبتا) لماذا جئت إذن ؟ كان يجب أن تهرب (إشارات من

أرييتا) أنا مثل شجر البلوط (! إشارات من أرييتا) لكنك طبيب (يقترب منه من الخلف ويضغط على كتفه) وصديق ! (صمت قصير) طبيب كبير . . ورسام كبير ، وصلبان على أبوابهم ، مسكينة يا اسبانيا . (ينهض أرييتا ويسير في الحجرة مكتئبا) أليس هناك بين مرضاك صاحب نفوذ كبير تلجأ اليه ؟ (يشير أرييتا الى جبهته علامة أنه سيفكر في ذلك) لو لم يكن أمامك أفضل من ذلك . تعال الى هذا المنزل (يبتسم أرييتا ويشير اليه راسما علامة الصليب في الهواء) الصليب على بابى يصلبنى أنا لا أنت ، فلو عشت معنا هنا لكان الخطر عليك أقل ، هل يمكن أن تقضى معنا ليلة عيد الميلاد ؟ نطرح عنا الأحزان ثم . . . تبقى معنا (برهبة) سنكون نحن الاثنان أقل وحدة . . (يشير له أرييتا بأن يصمت ويومىء ناحية اليمين) هل رن الجرس ؟ (يهز أرييتا رأسه بالإيجاب . يهرع جويا إلى الشرفة) ساعى البريد ، أخيرا وصل ! (ينظر الى أرييتا ، نبدأ في سماع دقات القلب التى تستمر خلال المشهد التالى ، يلتفت أرييتا الى الباب . بعد لحظات تظهر ليوكاديا بخطاب في يدها ، يتقدم جويا نحوها) أعطنى إياه (تمد ليوكاديا يدها بالخطاب . يقرأ الرسام العنوان الخارجى) إنه خط « مارتين ثاباتير ! » (تتحول لوحة « القاصدات » الى لوحة « اجتماع الساحرات » ببطء يظل جويا لحظة في تأمله والخطاب

مغلق في يده) لو لم أفتحه . (تتبادل ليوكادياوالدكتور النظرات باستغراب) كما لو كنت لم أتلقاه !

ليوكاديا : (بعد هنيهة ، بحركة معبرة) (هل أفتحه أنا) ؟

جـــويا : (أتظنين أنني لا أجرؤ ؟ لا ، أنا أفكر فيما اذا كان من الأفضل لنا أن لا نعرف متى سنموت . لمـــاذا لا نتجاهل ما ينتظرنا ؟ إذ يمكن تمزيق الخطابات قبل أن تقرأ . . فكثيرا ممـــا تحمله لنا من أنباء لا يتحقق ! سواء كانت طيبة أم لا . . (يمد أرييتا يده نحـــو الخطاب وجويا ينظر إليه) يمكن أن أمزق هـــذا الخطاب قبل قراءته لا من الخوف ، بل ضـــد الخوف . (يضحك ، يخطو نحوه أرييتا بقلق خطوة) ما أغبانى ، لقد وقعت في الشرك ولا بد أن أمضى في اللعبة حتى النهاية (يذهب الى المنضدة ، يضـــع نظارته ويفض الخطاب ، وبعد أن يقرأه يرفع بصره واجما) ياسيد إوخينيو عد الى مدريد وابحث عن أصدقاء ، أنا متمسك بما عرضت عليك .

(يترك النظارة على المنضدة ، يضع الورقة في جيبـــه ويمضى ببطء نحو الخلف ، عندما يمـــر بجـــوار ليوكاديا توقفه)

ليوكاديا : (بحركة معبرة) ماذا يقول لك ؟

جـــويا : الخطاب ؟ . . مارتين قلق ، فمنذ أكثر من شـــهر لا تصله أنباء عنى . (يواصل سيره ويمسك بلوحـــة الألوان والفرشاة ، ليوكاديا لاتخفى ضيقها الشديد ،

أرييتا ينكس رأسه خطابى سقط في يد الرقابة . لو كان هناك كتاب أخضر فسيكون اسمى فيه ،الطاغية يفكر فيّ !

(تنفجر ليوكاديا في أنين غير مسموع وتنهار على مقعد ، يهرع أرييتا الى جوارها ليهدئها ، يتأمل جويا لحظة مبالغاتها في الانفعال وكأنه يطل من جزيرة صممه ثم يأخذ في رسم الشكل النسائى للمرأة التى تغطى يديها بالغراء . يخفت الضوء بالتدريج حتى يحل الظلام الشامل . وتهدأ الدقات حتى تتلاشى يعود الضوء في المستوى الأقرب من المسرح . يجلس على اليسار الأب دواسو والدكتور أرييتا وهما يتبادلان النظر ، بقية المسرح مظلم)

دواسو : غدا عيد الميلاد ، وقد وعدت السيد فرانثيسكو بزيارته اليوم ولكننى سأذهب بعد الثامنة ، أتريد أن تصحبنى يادكتور أرييتا ؟

أرييتا : (بانحناءة طفيفة) الآن فورا إن كنت تود ، وتتكلم في الطريق .

دواسو : (يخرج ساعته وينظر اليها) آسف ، لا أستطيع الذهاب قبل الثامنة .

أرييتا : (يخرج ساعته) (الساعة الآن السادسة والنصف) ربما كان من الأفضل أن نتحدث فيما بعد ، إن كنت سيادتك الآن مشغولا بواجبات أخرى .

دواسو : (مبتسما) أملك كل وقتى

أرييتا : (يبتسم حائرا) إذن . . يمكننا أن نتحدث ونحن في

طريق الوصول لو خرجنا الآن . الطريق طويل عند الثامنة سيكون الظلام قد حل .

دواســو : (بعد هنيهة) هنا نتحدث أفضل (أرييتا يرفع حاجبيه دهشا إذ لا يفهم) هل حدث شيء لصديقنا ؟

أرييتــا : أجــل .

دواســو : هل هو الذى أرسلك ؟

أرييتــا : لا

دواســو : أنا أنصت اليك

أرييتــا : أعرف أننى أستطيع أن أثق بك يا أب دواسو . .

دواســو : لا تشك في هذا

أرييتــا : صديقنا ينبغى أن يختفى

دواســو : ماذا حدث ؟

أرييتــا : وقعت رسالة كان قد أرسلها الى مارتين «ثاباتير» في يد الرقابة وبها سب للملك .

(يزوم دواســو مندهشا)

دواســو : كيف عرف أنها وقعت في يد الرقابة ؟

أرييتــا : لم يتلقها « مارتين ثاباتير »

دواســو : ومتى أرسلها جــويا ؟

أرييتــا : منذ اثنتين وعشرين يوما

دواسو : (فزعا) اثنان وعشرون يوما ؟ (يعدّ على أصابعه بعض الأرقام) أليس واهما .؟

أرييتــا : لا .

دواسو : (بعصبية بعد أن يتروى قليلا) يجب على جويا أن يطلب عفو جلالته بدون تأخير وسأصحبه أنا .

أرييتـــا : (مستنكرا) ليس من المؤكد أن يظفر به ، حـــتى لو طلبـــه .

دواسو : إذا كان جلالته لم يعاقبه حتى الآن على هذا الخطاب ، فربما لايود عقابه . .)

أرييتـــا : اسمع يا أب دواسو ، لا يذكر أحد أن الملك عفـــا عن أحد هاجمه ، أرجوك أن تقنع جويا اليوم بأن يختبئ

دواسو : أيـــن ؟

أرييتـــا : (مترددا) أشك في أن يقبل ابنه وزوجته إيواءه . . [وهناك سيبحثون عنه قبل أى مكان آخـــر]

دواسو : في منزل بعض الأصدقاء ؟

أرييتـــا : الملك لايريد سوى رعايا يشكون ويخافون ، وها هو ينال ذلك إلى حد أن السيد فرانثيسكو لم يبق له غير صديقين

دواسو : أنا وأنت ؟

أرييتـــا : هذا هو الواقـــع ، وليس بوسعى أن أعرض عليه اللجوء عندى لأنه ربما تعرف . . فقد رسموا أيضا صليبا على بابي

دواسو : (بجفاء) كنت أجهل ذلك ، هل تظن بأننى أهـــل للاشتراك في هذه الحقارات ؟

أريبتا : كنت أريد أن أقول بأنك ربما تكون قد علمت ، كما علمت بحالات أخرى .

دواسو : اذن فأنت أيضا في خطر ؟

أريبتا : (يهز كتفيه) ومن ذا الذى ليس في خطر ؟

دواسو : وقد جئت تطلب عونا . . لجويا

أريبتا : أنت صديق لجويا . . وابن بلده ، لالى

دواسو : (بعد هنيهة) أنت طبيب ممتاز ولم تكد تشترك في شيء . . .
هذا الصليب إسراف في التعصب . سأستقصى عمن رسموه وابحث عن العلاج . ولو حدث لك شيء في هذه الأثناء فلا تتردد في استخدام اسمى

أريبتا : أشكرك من القلب يا أب دواسو .

دواسو : أما بالنسبة لجويا . . فالوضع غريب ، منذ عدة أيام كنت أفكر في أن أعرض عليه هذا المنزل . . ان لم أستطع أن أجعله يزور الملك أوان طلب منى المجىء .

أريبتا : لن يفعل شيئا من الأمرين ، فاعرض عليه المجىء اليوم دون طلب منه .

دواسو : (باسما) سننقذ جويا وسأحميك . . وأنا واثق من أن كل هذا سيجعلك تعترف بأننا لسنا متوحشين كما يؤكد الأحرار . .

أريبتا : بالتأكيد أنت لست كذلك .

دواسو : ولاكثيرون غيرى ياصديقى أرييتا ، كن أكثر كرما وتسامحا ! (ايماءة ارتياب من أرييتا) اسمع ياكتور : أنت تعتقد أنني أصنع نفس في خدمة أهـــداف شرسة وأن المسيحى الحقيقى لا ينبغى له ذلك . لكنك تخطىء في الحكم لأنك تنسى الرحمه ، فالحمـــدلله دائما هناك أشخاص عطوفون ، حتى عندما كنـــتم تحكمون ، فنحن نلطف الأوجاع ونصمت تجاه الأخطاء الأخرى ، مادمنا لانستطيع أن نفعل شـــيئا أكثر من ذلك .

أرييتـــا : ولو كنت تستطيع أن تفعل المزيـــد ؟

دواسو : هذا هو الوهم التقدمى يابنى . . وأنا لا اشـــاركك فيه ، فالإنسان سيظل دائما آثمـــا وليس في يدنا أن نجعله يتفادى الإثم إلا في بعض الأحيان . . ولهـــذا فأنا رقيب على المنشورات .

أرييتـــا : يا أب دواسو ، أنا طبيب وأحب للناس أن يعيشوا أصحاء وسعداء . أبارك السماء لأن هناك دائما أناساً طيبين يساعدون المضطهدين . والمسيح يرضيه ذلك، لكن لم يكن ليسكت على الفضائح الأخـــرى . .

دواسو : كان قويا لأنه « من روح » (١) الله ، أما نحـــن فضعاف . . يادكتور أرييتا . أنا سعيد لما سأفعلـــه . ألا تغمرني بعطفك لهذه المساعدات ، حتى ولـــو كانت صادرة من إنسان ضعيف ؟)

---

(١) الزيادة بين علامتى التنصيص من وضعنا ، المترجم .

أرييتـــا : ولك امتناني الدائم يا أب دواسو ، وأرجو من السماء ألا تصبح ضحية أخرى .

دواسو : (ببرود) لا أفهـــم ماتعـــنى

أرييتـــا : (بخطورة) أعرف جيدا إسراف التعصب ، فقـــد عانينا نحن منه أيضا خلال فترة الأحرار التى دامت لنا ثلاث سنوات ، واليوم يطلقون علينا نحن المغلوبين الماسونيين ، وغدا ربما قالوا ذلك عن رجل مثلك .

دواسو : (باعتزاز) من هـــم ؟

أرييتـــا : أشد الناس تعصبا ، سيحاربونكم ، وربما وقفـــوا ضد الملك نفسة . .

دواسو : ماذا تقـــول يابنى ؟

أرييتـــا : أنا أتوقع ذلك ، فالملك سيؤسس مدارس لمصارعة الثيران ويغلق الجامعات . غير أن هذا قد لايفيـــده ويسميه المهتاجون ماسونيا . هناك ورم رهيـــب في بلادنا وكلنا نريد أن نكون جراحين لايشق لنـــا غبار ، ولقد سفكت الدماء وستسفك مرة أخرى ، لكن الورم لا يشفى . وأنا أتساءل إن كان ســـيأتي اليوم الـــذى يجىء فيه أطباء يشفونه ، أم ســـيظل الجراحون الدمويون يقطعوننا إربا إربا .

دواسو : (يزفر) [إنسؤالك يساوى تأكيدى من قبل . .] فالانسان آثم فلنكن اذن متواضعين ولننقذ جويا

اريتا : أنت ستنقذه ، لكننى لن أكون سعيدا

دواسو : ولم لا ؟

أرييتا : لكى يحيا جويا ربما حطمنا جويا .

دواسو : اشرح قصدك

أرييتا : تحت تهديد الرجل الذى سبه يعيش جويا متأرجحا بين الفزع والجنون . وفي هذا الصراع الغريب الذى تعانيه روحه فإننى — كإنسان بسيط . أحس فيه فزع المارد الجبار كى لايصبح كذلك .

دواسو : من أجل صحته . .

أرييتا : ومن أجل حياته ، لأننى طبيب ، ولأنه أيضا لم يعد رساما عظيما بل عجوز يلطخ الجدران (أريد أن يكون خوفه هو الذى ينقذه كى يعيش أيامه الأخيرة في سكينه كجد يسيل لعابه مع أحفاده)

دواسو : إذن . .

أرييتا : هذا فيما أظن ، لكننى لست متأكدا ، فهل تكون تلك الأشكال الشنيعة التى يرسمها على الجدران أعمالا عظيمة خالدة ؟ وهل يكون الجنون مصدر قوته؟ [أفلا أكون قد أردت لعملاق كبير أن يتحول الى قزم لأننى قزم ؟]

دواسو : أنت تقوم بواجبك ، كما أفعل أنا ذلك

أرييتا : [ينظر اليه بامعان شديد] لو كنت مكانك ياأب دواسو ، لمار كنت بدورى إلى الاطمئنان

دواسو : كيف ؟

أرييتا : لقد أخترت أن اعيش في العار ، ولهذا لجأت الى الصمت ، سأخرج عن صمتى معك لأننى متأكد

من رجولتك وطيبتك . . ولأنني أصبحت بالفعل موسوما .

دواسو : (ببرود) زن كلماتك بدقة يابني .

أرييتا : فلنفرض ياأب دواسو . . ليس إلا مجرد فرض . . أن جلالته قد تردد في اصدار الأمر بشنق السيد فرانثيسكو ؟ فهو فنان شهير ولم يبرز في مجال السياسة

دواسو : يكون هذا برهانا على أن السيد فرناندو لايخلو من خير وطيبة .

أرييتا : أومن الحذر ، ولنفرض أن الملك دون أن يقرر هذه العقوبة المدوية أراد أن ينتقم من رسامة . . (علامة ضيق من دواسو بسبب الفعل الذى يتسخدمه أرييتا ببساطة) بأن يجبر جويا المتكبر المعتز بنفسه على أن يناشده الرحمه والعفو بين الدموع ، وأن يعدل عن موقفه مثل المسكين رييجو حتى يستمتع جلالته بذلك لحظة . . لو فرضنا ذلك لقلنا أن رجلا اخر لم يعد رجلا .

دواسو : دكتور أرييتا ، لاأستطيع أن أسمح لك . .

أرييتا : (حاسما) أذن فلأصمت !

(صمـــــت)

دواسو : معذرة ، استمر

أرييتا : شكرا . . أعتقد أنه مادام جويا لايطل على القصر فلن يصعب على الملك أن يبعث برجل يحثه على ذلك (يتغير وجه دواسو) أفهمنى ياأبي من فضلك رجل

متلهف لمساعدة صديقه ، لكنه بدون أن ينتبه يسهم في تحقيق هدف ملكى : هو أن يصبح الأرجواني المتمرد الكامل « دلدولا » يرتعد . .

دواسو : أنت تناقض نفسك

أرييتا : لا ، فلو خضع جويا لبرهن على أنه خائف ، ولو لم يخضع فسيخاف .

دواسو : أنت لاتحسن تفسير الوقائع

أرييتا : هل كان لديك علم بوجود هذا الخطاب من جويا ؟

دواسو : يشهد الله أن لا .

أرييتا : أنا أصدقك ، هل أنا مخطىء أيضا اذا ظننت أن الملك قد تحدث اليك بشأن جويا ؟

دواسو : (مترددا) لن أجيب على أسئلة أخرى .

أرييتا : مازال عليك أن تسامحنى في عدة كلمات لقد وصلتنى إشاعة تؤكد طيبة قلبك ياأب دواسو

دواسو : أية اشاعة ؟

أرييتا : أنك فعلا تخفى في بيتك هذا بعض أبناء بلدك ممن تعرضوا للخطر

دواسو : أيقال هذا ؟

أرييتا : هذه هى نشرة المقهورين الحزينة التى تتداول همسا بين الناس الآمنين ، ولا أريد أن أعرف إذا كانت هذه الاشاعة صحيحة أم لا ،ولكن لو جاء جويا لمنزلك فستكون صحيحة . . لكنك قسيس موال

للعرش . . ومن غير المعقول أن يحتضن الأب دواسو أحدا — اليوم أو غدا — دون الاعتماد المسبق على الاذن الملكى أم أننى مخطىء ؟

دواسو : (بعد هنيهة) أرجوو أن تعفنى من أسئلتك

أرييتا : لا ، لن أعود للسؤال . بل سأعرض عليك فقط أسوأ ظنوني ؟ لقد وعدت أن تزور اليوم صديقنا . . ولن أسألك لماذا بعد الساعة الثامنة وليس قبل ذلك بأية حال . . (ينظر اليه دواسو بقلق متزايد) لكن أخشى أن نكون بذلك قد ارتكبنا خطأ لايمكن اصلاحه . . ان لم نعجل بزيارة جويا قبل أن تدق الساعة الثامنة (يخرج دواسو ساعته ويتأمل بعصبية) لكن اذا كانيجب عليك أن تذهب قبل هذه الساعة (ينهض دواسو والساعة لاتزال في يدة وينظر الى أرييتا وقد تسلط الخوف على ملامحه ، ينهض أرييتا أيضا) ياأب دواسو . . اذا كنت أنت تقوم بدور البطولة في لعبة ما ، فلا تنسى أنه ربما يكون هناك أبطال آخرون . (بكثير من التأثر والتروىيستنكر دواسو لنفسه ذلك فجأة ، لكن أدرك أنه وقع في شرك غير منتظر)

دواسو : لن يلعب أحد على الأب دواسو ، إذا أسرعنا أمكننا أن نصل الى الضيعة في السابعة والنصف ، فلنأخذ عربتى (يحفظ ساعته ويتجه إلى اليمين وقد استعاد هدوءه) اتبعنى يادكتور (أرييتا يصحبه والضوء

يتابعهما ، يتوقف دواسو قبل أن يخرج) هذهالرسوم في الضيعة . . هل هى فعلا سيئة ؟

أرييتا : لاأعتقد أنها حسنة

دواسو : ولم لا ؟

أرييتا : لقد أجاب هو نفسه عن كذلك في ذيل احدىلوحاته « حلم العقل يولد الفضائح »

دواسو : دائما ؟

أرييتا : ربما لم يكن دائما . . اذا لم ينم العقل تماما .

دواسو : (يزفر) الهوة تنادى الهوة (١) (يخرج ويتبعة أرييتا يضاء المسرح ببطء ، تختفى المقاعد التى كان يجلس فوقها أرييتا ودواسو ، تحت ضوء المصباح ينام جويا على وجهه فوق الطرف الأيمن للمنضدة في نفس الوضع الذى رسمة لجسمة في اللوحة الشهيرة به . يتسلل ضوء القمر البارد عبر الشرفة ، وعلى الحائط الخلفى تعرض صورة مكبرة جدا للوحة « العجائز يشربن الحساء » لايحدث شيء لعدة لحظات تسمع بعد ذلك ضربتان شديدتان على الباب ، يتحرك النائم ، تغمر الغرفة أضواء غريبة شاحبة ، ضربة ثالثة وتتزايد فجأة الأضواء الغريبة فتستحيل أنوار المصباح الى شعلة مخضرة هينة لاتضيء شيئا ، يلاحظ في الضوء الخافت الذى لايزال يتزايد شكل غريب على اليمين إنه حطمة كرنفال بقناع عجوز هرم ، يقوم مكان

---

(١) فى الأصل باللاتينية ومعناها ان الخطا يقود الى خطا آخر ، المترجم .

أذنية جناحا وطواط كبيران ، يجلس على منصة المجمرة وعلى ركبتيه مجلد غليظ مغلق وينظر بلا اكتراث الى جويا . يخفق في الهواء صوت أجنحة عملاقة ، يتغلب الرسام بمشقة على سباته ويلتفت بدهشة كي يرنق وجود هذا الشكل المقنع الغريب الذى ينظر اليه .

جويا : من أنت ؟ (الشبح لايجيب ، يفتح كتابه وينقر على صفحاته بضربات غليظة ، تطل نتيجة لها من اليسار حطمة أخرى تحمل رأسى قط ويتدلى منها ثديان كبيران ينفخان أسمالها ، تحضر في يدها كمامة غريبة من السلك بقفل ضخم يتدلى منه مفتاح غليظ يدير الرسام رأسه في الوقت الذى يسمع فيه في الخارج صليل جلاجل البقر وضحكات منغمة تتكرر من حين لآخر ، يضغط جويا على أذنية) هل أسمع ؟ (تقترب القطة الحطمة من جويا ثم تتوقف ، جويا ينظر الى الشكلين الغريبين . ينقر الانسان الوطواط مرة أخرى على الكتاب فيتصاعد صليل الجلاجل ينظر جويا الى الأبواب . يدخل منها فجأة من كانوا يضحكون بالخارج وهم يصرخون ويجـــرون ويتصايحون بلاحساب ، إنهما شكلان آخرين مقنعان بوجوه خنازير ومعهما مطارق غليظة وقد تدلى من وسطهما جلاجل صدئة)

الخنازير : لاتعرفنا . . لاتعرفنا . !

(يكررون كلماتهم كالتراتيل ضاحكين ويقتربون

من جويا فيرفعونه حملا من تحت إبطية ويحملونه إلى وسط المسرح)

جويا : (يحاول التملص) لاتلمسوني !

خفاش : « لا أحد يعرف » (طرقة أخرى عنيفة على الباب ، يخرس المقنعون)

جويا : أنا أريد فقط أن أشرب حساء (الإنسان الخفاش يأمر بالصمت من خلال سأسأة طويلة ويشير إلى المنضدة . . ينظر إليها جويا . يبرز من خلفها ببطء شكل آخر مقنع يجلس برفق على المقعد وهو يرتدى رداء واسعا أسود به طرطور يخرج منه قرنا ثور قويان ، أما وجهة فماجن خشن)

ذو القرون : (يرفع يده) باسم قسيس تاما خون .

(يرفع المقنعان بوجوه الخنازير مطارقهما كى يدقا بها جمجمة جويا وهما يتضاحكان)

الخفاش : لا (ينقر على الكتاب) نظروا إن كان لديه ذيل

جويا : ذيل ؟ (يحاول الانطلاق)

الخفاش : (يقرأ في الكتاب) اليهود والماسونيون لهم ذيول ، فقد ابتـــلاهم الله بهذه الوصمة الجهنمية كى يحذر منهم الأرواح المسيحية . تقدموا !

(يدير المقنعان بوجوه الخنازير جويا حتى يعطى ظهره)

الخفاش : أله ذيل ؟

الخنزير الأول : طويل جدا

الخنزيرالثاني : كثيف الشعر غليظ

الخنزيرالأول : وشديد الخضرة

جويا : خنازير لعينة

الخنزيرالثاني : وهو يحركه

جويا : سوف أحطمكم أشلاء ياقطاع الطرق . . سوف أبقر بطونكم مثل الدود .. يشير ذو القرنين إشارة معينه في نفس الوقت الذى يتكلم فيه جويا فيستدير ذوو الوجوه الخنازيرية في حركة نصف دائرية وتتقدم القطة وتضع على فمه الكمامة السلكية ثم تغلق القفل بضجيج مفتاح واضح ، بالرغم من أن شفتيه تظلان تتمتان ببعض الشتائم من خلف الشبكة إلا أن صوته ينطفىء)

الخفاش : هل لدى المتهم شىء يدفع به ؟

الخنزيرالأول : لاشىء (جويا يناضل ويتكلم دون أن يسمعه أحد)

الخنزيرالثاني : لقد اعترف المتهم بأن له ذنبا .

الخنازير : فهو ماسوني ويهودى .

ذو القرنين : جلالته يتفضل بتطريز زهرة .

القطة : عاش الملك ذو السلطة الطليقة المطلقة !

الخنازير : (يترنمون في نفس الوقت الذى يدورون فيه بجويا)

ابلعها ياكلب ،

ياماسوني يافرنسيس ،

يامن لست تريد

محاكم التفتيش !

(ثم يجبرون جويا على أن يجثو فوق ركبتيه ويرفعون عليه مطارقهم ، ذو القرنين يقف ويمديده بطريقة مهيبة)

ذو القرنين : لا ، لم يحن الأوان بعد !

الخفاش : أطلقوه .

(ذوو وجوه الخنازير يطلقون سراح الرسام وهم يتقهقرون نحو الأبواب ، ينظر جويا إلى الجميع بترقب)

القط : مياو ! . .

الخفاش : جلالته يتفضل بتطريز زهرة أخرى (يقترب ذو القرنين من جويا الذى ينهض ويتراجع نحو أحد الأبواب ذو وجه الخنزير الذى ينتظر هناك يرفع عليه المطرقة ويهز الجلاجل ، يحاول جويا أن يعبر الطريق لكن ذا القرنين ينطحة ولكن جويا يستطيع تفادى القرون ويهرع الى الباب الآخر حيث تنتظره هناك المطرقة وجلاجل المقنع الآخر ، وعندما يتراجع تمسه برفق نطحة أخرى من ذى القرنين ، يتبادلان النظر للحظة وهما ساكنان . ينطح ذو القرنين جويا من جديد ولكنه يتفاداه بمشقة فيعاود تسديد نطحة أخرى اليه ترديه الأرض ، القطة التى كانت تموء عند كل نطحة ينبعث منها الأن مواء طويل والخنازير تصلصل بجلاجلها) كفى ! (ذو القرنين يرفع رأسه ويظل متصلبا) أنتم . (المقنعان بوجهى الخنازير يقتربان من جويا وقد شرعا مطارقهما في ارتفاع متوسط)

القط : الموت للسود !

الخفاش : (يقرأ في كتابه ، ويتغنى متململا) لأنك يهودى ، ماسوني ، من الأحرار يعقوبي ، سفيه ، وقح ، مجرم ، رسام ، تستمنى على نفسك ، حقار نقوش

القطة : ياله من منقار ذهبي !
(ذوو الوجوه الخنازيريه يقفون بجوار جويا المتهالك الذى أدار ظهره)

الخفاش : سنسلمك للذراع العلماني

القط : عاش الملك خالصا ويسقط الوطن !

الخنازير : (يرفعون المطارق ببطء ويترنمون بصوت كنائسى) ابلعها ياكلب . .
(تبدو ليوكاديا من اليمين وهى في كامل زينتها مثل جوديث في اللوحة وهى تسمك بيدها سكينا كبيرا)

ليوكاديا : الزموا الهدوء ! (ينظر اليها الجميع ، يرفع جويا رأسه بخوف واضح) سأكون أنا الذراع العلماني (يجثو جويا على ركبتيه ، تصل هى الى جانبة وتجذبه من شعره حتى تجبره على أن يمد عنقه ، وعندما تمد السكين لتذبحة يسمع صوت دقات شديدة على الباب فتفزع ليوكاديا وتلمع عينا الرسام) إنهم هم !
(تهرب ليوكاديا من اليسار ، يطوى الوطواط كتابه بضربة واحدة وينهض . النور يخفت بسرعة)

الخفاش : هم ؟ (يشير جويا بالإيجاب بسرور بالغ ، تتكرر طرقات الباب بشدة ، ذوو الوجوه الخنازيريه يرفعون الرسام ويضعونة بسرعة في المقعد الذى كان ينام فوقه) من هم ؟

(خفق أجنحة عملاقة في الهواء تسارع القطة بفتح القفل ونزع الكمامة من فم جويا ، يعود الضـــوء شاحبا)

جـــويا : الرجال الطائرون يدقون على جميع أبواب مدريد (تنهمر الدقات كالمطر على الباب)

الجميـــع : (فيما عدا جويا وذو القرنين) لا .
(يهربون وهم يصرخون ويمؤون من البـــابين ، ذو القرنين يرفع ذقن الرسام بنعومة غير متوقعة ، ليس هناك ضوء في الحجرة غير ضوء القمر والمصباح)

ذو القرنين : أنا ســـأعود .
(يرفع ببطء رأس الرسام حتى ينكفئ مرة أخرى لينام على وجهه فوق المنضدة ثم يتسلل ذو القرنين بحذر ويختفى من اليسار ، تسمع بعد لحظات دقات مدوية . على الحائط الخلفى تبدو لوحات « زحـــل » و « اجتماع الساحرات ، و « جوديث » ، يطرف جويا بعينيه ويرفع رأسه . تصمت الطرقات في نفس هذه اللحظة ينهض جويا وعينه مفعمة ببريق أمـــل مجنون)

جـــويا : طرقات من الشدة لدرجة أننى نفسى أسمعها (يهرع الى الشرفة غير المرئية لكن لا يتمكن من استيضاح شيء . تدخل ليوكاديا من الناحية اليمنى في مظهرها العادى وقد استبد بها الفزع ، تصل الى جوار جويا وتتعلق بذراعه بعصبية ، يلتفت جويا فلا تستطيع هى الا أن تشير الى الناحية اليمنى وقد كتم صوتها . تضخ

دقات القلب بسرعة فجأة وتظل خلال المشـــهد التالى ، وعندما تشرع في الرنين تتملص ليوكاديا من العجوز الذى يحاول الامساك بها وتهرب من اليسار) ماذا حدث ؟ (يمضى جويا نحو اليمين ليستطلع الأمر ، يظهر على الباب خمسة متطوعين ملكيين ، لا يحملون بنادق ، بل سياطا شدت على خواصرهم فحسب ، تحيط سيور خوذاتهم بوجوه تطل منها ضحكات شريرة ، أولهم شاويش ذو شوارب غليظة ، وهو شاب فتى ذو شكل مليح ، يلاحظ على ســـترته أنه ينقصها زرار معدنى ، يستل الاثنان اللذان يتبعانه سياطهما ، ويحمل متطوع آخر ربطة من القماش تلف شيئا . يهرع جويا الى الصندوق ليتناول البندقية ، لكن أحد الجنود الذين استلوا سياطهم يخف بأسرع منه ويضع يده على السلاح بينما يمسك الآخر بالرسام يتقدم الشاويش ويتكىء على مسند الأريكة الخلفى ويشير بشىء بينما يبرم شواربه . المتطوع الذى يحمل ربطة القماش يقذفها على الأريكة ويجرى مع رفيقه فيخرجان من اليسار) جلادون ! (احد الذين يمسكون بجويا يلطمه) سوف أسحقكم ، وألقيكم للكلاب ! (خلال الصمت الذى لا يتخلله سوى ضخ القلب يضحك الجميع مقهقهين ، الذين يمسكون به يحضرونه وهو يتعثر الى مقدمة المسرح ، يقترب منه الشاويش ويخرج من جيبه كمامة أحضرها خصيصا)حيوانات ! ولو وضعتم يدكم على وجهى مرة أخرى . .

(يسكت الجاويش كلماته بأن يحشر في فمه خـــرقة

ثم يكممه رابطا عنقه بشدة . يدمدم الرسام دون جدوى يتكيء الجاويش على المنضدة ثم يشير بيده فيقوم اثنان من السفاحين بطرح العجوز أرضا ، وعندما يتكيء على ركبته كي ينهض يتلقى أول سوط على ظهره فيطلق همهمة ضاربة ويحاول التحرر لكن سوط آخر يسقطه ، ثم تنهال عليه السياط بإيقاع نشط على جسده الذى يتقلص من الألم)

صوت رجل : (في الهواء) « من أجل هذا ولدتم » !

(عندما يعود المتطوعان اللذان خرجا من اليسار محضرين معهم ليوكاديا يكون جويا قد كف عن الدمدمة وأخذ يتحمل في صمت . تبدو ليوكاديا شعثاء الشعر عارية الصدر وقد أخذوا يداعبونها مطلقين ضحكات فاجرة ، ثم يجبرونها على أن تنظر لجويا فتصرخ ؛ يحاول أحدهم تقبيلها ولكن الجاويش يزوم)

الجاويش : (لا شأن لكم بالمرأة مطلقا ، لقد نبهت عليكم)

(تخور قوى جويا وينهار على الارض تحت وقع السياط كأنه كرة مزق ، يشير الجاويش بيده فيغمد المتطوعون سياطهم بين الضحكات والشتائم ، يجرى أحدهم الى الأريكة ويحل اللفافة بينما يقوم آخر برفع جويا قليلا وإسناد رأسه حتى يرى ، يعود رفيقه بقطعة قماش منشورة ويريها لجويا ، هى رداء المحكوم عليهم في محاكم التفتيش لكن بدلا من الشعلات المرسومة بغلظة على طرفيها عادة رسمت

أشكال مطارق سوداء . ينفجر الجميع في قهقهات صاخبة ويمتلىء الجو بصرخات الخفافيش ونعيق البوم ، تئن ليوكاديا وتتلجلج بصرخات غير مسموعة يمسك الجاويش وأحد المتطوعين بجويا راكعا بينما يقوم حامل الرداء بإلباسه له من رقبته ثم يرفعونه من تحت ابطيه ويجرجرونه حتى يضعوه على المقعد الذى كان ينام عليه . تصْرخ ليوكاديا وتحاول التملص ، تتفاقم ضربات القلب وصرخات الحيوانات)

صوت رجل : (في الهواء) « لا تصرخى ياغبية »

صوت امرأة : (في الهواء) « الراحة أفضل »

(ينظر جويا إلى ليوكاديا ، يعود المتطوع الى الاريكة ويحضر طرطور المذنبين ، بينما يقوم اثنان آخران بربط الرسام العجوز بحبل في مسند المقعد ويديه بحبل آخر في ارجل المقعد)

صوت رجل : (في الهواء) « هذا وأكثرا »

(بين ضحكات الجميع يخرج المتطوع الذى أحْضر الطرطور صليبا خشبيا أسود ويضعه في يد الرسام الموثقة بالحبال ثم يلبسه طرطور المذنبين فيستحيل بذلك الى شكل واحد من المذنبين الذين طالما رسمهم في لوحاته)

المتطوع الأول : (سنحطم رأسك بالمطارق) !

المتطوع الثاني : (بالمطارق)

(يعبر الجاويش المكان إلى الاريكة ، ينظر اليه

بخبث شرير المتطوع الممسك بليوكاديا ، يهتز الثلاثة الآخرون أمام جويا وهم يترنمون)

(ابلعها ياكلب !
ياماسونى يا فرنسيس
يا من لست تريد
محاكم التفتيش)

(يقتربون منه ويصوتون بها في وجهه ثم يلتفون حوله في حلقة ويكررون « ابلعها » المتطوع الذى يمسك بليوكاديا يدفعها بشدة على قدمى جويا لكنها تظل متكئة على المقعد تنظر الى العجوز من خلال دموعها . يشير الجاويش من فوق الاريكة فينضم الراقصون للمتطوع الثالث وهم لا يزالون يتغنون بأجزاء من المقطوعة السابقة ، تخفت أصوات الحيوانات رويدا رويدا)

(يقترب الجاويش من الأربعة ويسرّ اليهم بشيء ما)

الجاويش : (انهبوا ما شئتم ، البيت لكم) !

المتطوع الأول : (باسما ومتخفيا) (الى حجرات النوم) !

المتطوع الثاني : (بنفس الطريقة) (إلى حجرة المؤونة)

المتطوع الثالث : (بنفس الطريقة) (الى المطبخ) !

(يخرج المتطوعان الأول والثانى من اليسار على أطراف أصابعهم ، وعندما يمر أحدهم أمام لوحة « زحل » يتظاهر بأنه قد فزع منها ويعوج فمه بسخريه . بينما يخرج المتطوعان الثالث والرابع من الناحية اليمنى وهما يشيران اشارات بذيئة . ضجة

اصوات الحيوانات التى كانت قد خفت تسكت تماما في هذه اللحظة . ينظر جويا الى الجاويش وليوكاديا التى لاتزال ترمق الرسام بفزع . يراقب الجاويش الاثنين باسما . تعود دقات القلب بطريقة أعنف وأشد عذابا . يبدأ الجاويش في خلع ملابسه بهدوء ظاهرى وقد ثبت عينيه اللتين تبرقان بالشرر في المرأة فيلقى بالخوذة على الاريكة ، ثم يحل نجاده الذى يعلق فيه سوطه ، تلاحظ ليوكاديا فجأة أنه لم تعد هناك ضجة في المكان وترفع عينيها الملعتين دون أن تجرؤ على النظر الى الخلف حيث تشعر في ظهرها بنظرات الرجل . تتوالى دقات القلب في إيقاع سريع . ينظر جويا بإمعان إلى المرأة التى تلتفت ببطء فترتطم نظراتها الزائغة بابتسامة الجاويش الذى يترك محمله يسقط على الارض . تكتم ليوكاديا صرخة فزع وتنهض فتعدو نحو خلف المسرح لكن الجاويش يمسك بها بعنف ويقبلها في فمها وهو يجرها نحو الأريكة ، تحاول ليوكاديا التخلص منه لكنه يوقعها ، تسقط الاريكة نتيجة للدفعة ويختفى الرجل المحموم مع المرأة خلفها ، وفي هذه اللحظة تنفجر عاصفة من الضجيج ، فإلى جوار دقات القلب التى لم تتوقف تنضم صرخات حيوانات ونهيق حمير وقوقأة دجاج وقهقهات بشر وصيحات تثير القشعريرة ، تستمر الجلبة عدة لحظات ثم تهدأ قليلا وتستحيل الى موجات طويلة من الضحكات تتميز منها الاصوات العديدة التالية)

صوت نسائي : (بسخرية) « وافق شن طبقة »

صوت رجل : (باستياء) « لا يمكن النظر »

(يحول جويا نظراته التى تضيع في الهواء)

صوت نسائي : « يستغلون الموقف »

أصوات نسائية : « وهم متوحشون ! هم متوحشون ! » .

صوت رجل : « لافائدة »

أصوات نسائية : « هم متوحشون » !

صوت رجل : « لمـــاذا ؟ »

(تصمت الصرخات والضحكات ، ينتظر جـــويا لينظر خلف الاريكـــة المقلوبة ، تسكت ضربات القلب أيضا ، يسمع صوت مار يكيتا وسط الصمت العميق)

ماريكيتا : (صوتها) إنهم يؤذونني . (يستمع لها العجـــــوز فتسرى في بدنه قشعريرة) ماذا حدث لى ياســـيد فرانشو . . انهم يستحقون يدى . . ذراعى ينصهر ، ولحمى يسرى فيه الفساد . . لم أعد أشعر برجـــلى أصبحت مستنقعا في الأرض . .

جـــويا : (صوته في الهواء) « ماتت الحقيقة »

ماريكيتا : (صوتها) يجرى على خدى شيء لزج . . عيـــنّى تنفجران وتسيلان . . لا أرى . . انقذوني !

جـــويا : (صوته في الهواء) أيتها الحكمة الالهية . لا تتركى فوقها إنسيا .

ماريكيتا : (ينم صوتها عن تحلل غريب) لا أستطيع . . الكلام . . لساني . . فمي صديد . !

(صمت . ينظر جويا بحزن ساحق الى المختفيين خلف الاريكة من جديد ، موجة أخرى من الصرخات . تستأنف دقات القلب قوية سريعة)

جـــويا : (صوته يدوى بشدة في الهواء) « ما من أحد ينقذنا ! »

(تصل الضوضاء لأقصى مدى ثم تبدأ في الخفوت فتسكت الصرخات ، وتفقد دقات القلب إيقاعهـــا السريع حتى تنطفىء ، يحنى جويا رأسه كما لو كان قد أغمى عليه ، يعم السكون مرة أخرى ، يختفـــى حذاء الجاويش الذى كان يرى تحت الاريكـــــة وينتصب خلفها وقد عمت الفوضى هيأته ولبســـه ، بينما يصلح من شأنه ويزرر سترته ينظر الى جويا الذى لايتحرك ، ثم يتناول النجاد ويعلقه ويمسك بخوذته يلبسها ، يخطو نحو الرسام عدة خطوات ويتفحصه ثم يلقى نظرة باسمه على المرأة الملقاة على الارض . يتلمس عروته التى فقدت زرارها ويمر بجوار جويا حتى يصل الى المنضدة ليتفقد ماعليها ، يتناول شيئا وهو يبتسم ، إنه زراره المعدني ، يريه لجويا الذى لايحرك ساكنا ثم يحتفظ به بخيلاء . تبدو على ملامحه آيات الجد فجأة وهو يحرك ساعة المنضدة كى يرى فيها الساعة ويخطو خطوات عسكرية نحو مؤخرة المسرح وهو يصفق بيديه تصفيقا لايسمع ناحية اليسار ثم يصيح)

الجاويش : (يا باسكوال ، يا باسيليو ، تعالو هنا بلا تأخير ، لقد حانت الساعة !) (يصفق مرة اخرى) بسرعة (لحظات يعود المتطوعان ، يحمل أحدهم صندوقا خشبيا صغيرا في إحدى يديه وباليد الاخرى « تورتة » كبيرة يأكل منها ، والثاني يحمل فخذ حيوان مملح ويمضغ شيئا وهى يبتسم . يفتح الجاويش الصندوق الصغير ويتفحص مابه باشارة جافة . يعود إلى جانب جويا الذى لم يكد يفتح عينيه ، يرفع رأسه بيده ويشير له باليد الأخرى أن ينتظر وهو يقول) (سنعود) (ثم يخرج من اليمين يتبعه المتطوعان اللذان يلكزان جسم ليوكاديا ضاحكين . صمت طويل تتلاشى خلاله صور لوحات « زحل » و« جوديث » ببطء . تعتدل ليوكاديا خلف الأريكة وتطل بتؤدة فتظهر ثيابها المفكوكة وخدها المزرق الداكن ، تنهض متكئة على الأريكة وتتأمل جويا طويلا الذى ينظر إليها دون أن تطرف عيناه ، تتضخم صورة « اجتماع الساحرات » تتقدم ليوكاديا باكية مترددة عدة خطوات . لكن هناك شيئا في عينى العجوز يجبرها على التوقف ، بالرغم من ذلك تستأنف السير حتى تصل إليه ثم تركع بجانبه وتحل وثاق قدميه . ثم تعتدل وتنزع من يده الصليب وتتركه على المنضدة وتحل وثاق ظهره فتحرر ذراعيه فيحركهما جويا إلى أعلا إذ يؤلمه ظهره ويفك بيده الكمامة ويبصق المزقة التى في فمه . ثم ينهض واقفا أمامها فيبدو لعينيها كأنه دمية كبيرة مضحكة ، يقذف جويا بالطرطور بحركة

غليظة فيكر على الأرض ثم يتابع النظر الى المرأة ، فجأة يجرى الى خلف المسرح بالرغم من أن« العلقة » التى تلقاها تجعله يعرج ويتوجع بجلد شديد ، تخف ليوكاديا لتساعده على السير لكنه يتوقف ويرفض عونها)

جويا : لاتلمسينى (هى تتراجع) لقد أحضرتهم أنت (تنكر بوهن شديد) كى تستمعى ! (تعود ليوكاديا للإنكار يتقدم هو نحو البندقية ويمسك بها ويرفع الزناد وهو يرتجف)

ليوكاديا : (فزعة) (فرانشو !)

(تتقهقر بهلع فترتطم بالأريكة المقلوبة ، يزفر جويا من الألم والغضب ويتقدم ببطء إلى الأمام دون أن يكف عن النظر اليها ، تدور هى حول الأريكة لتنظر اليه)

جويا : لاتتحركى (تتوقف ليوكاديا تحت التهديد وقد أدرات ظهرها) واضرعى الى الله كى يغفر لك (ينظر اليها من مقدمة المسرح والبندقية مشروعة) أتصلين ؟ (تشير بالإيجاب دون أن تلتفت . يصوب العجوز البندقية إلى رأسها)

ليوكاديا : (يسمع صوتها المتألم بوضوح تام) اطلق الرصاص (يقطف جويا حاجبيه دون أن ينزل السلاح ، يعتقد أنه قد سمع فيضاعف انتباهه ، لايحس بشىء عدة لحظات ثم يصل إليه صوت المرأة بعد ذلك في موجات متقطعة تنطفىء احيانا) . . سينتهى بي الأمر الى

تسليم نفسى للآخرين مالم تقتلنى . . أنا مذنبة . بالرغم من أننى لن أعرف من هو المذنب أكثر منى . . (تهبط البندقية في يد جويا قليلا قليلا وإن ظلت مصوبة الى قفا المرأة) . . يافرانشو المسكين لقد أحببتك . . دون أن أفهمك . . كنت تعيش خلف جدار ، ومع ذلك فقد مكثت بجوارك . . أرعى المنزل وأسهر على راحتك ، وأتعذب بخوفي الذى يختلف عن خوفك . . أسمع وقع اقدام الجياد التى تبتعد دون أن يرفعنى أحد الى صهوتها . . أحمل الفحم وأطعم البهائم حتى تتشقق يدى ويذبل جسمى ليالى الوحشة والفراش بارد . . أسمع آهات أرقك من مخدعى وأنا أعرف أنك لن تأتي . . إنك لن تجرؤ . . وأكاد أفضل الوضع هكذا . . لأنه خلال المرات القليلة التى كنت تلتمسنى فيها لم أكن اشعر بك بجانبى مثل الثور كما كنت من قبل ، بل أصبحت جدا متعبا . . وحيدة كنت ، أنقذ أولادى وهذه الضيعة وأنقذ نفسى وأنقذك من هوسك الرهيب باغلاق جميع الأبواب . . (تبدأ في التلفت ببطء دون أن تكف عن الكلام ، ويظل صوتها مسموعا بوضوح ، بوجه قد أغرقته الدموع تصوب نظرة معذبة إلى جويا وتنكس رأسها بمذلة) كان على أن أتسامح مع الجاويش وأضحك من بذاءته وأعده بأن . . إذ أننا كنا تحت رحمته . . ولاأعرف إن كنت قد ناديته برغبتى . . أطلق الرصاص. (سكتة)

ألا يكفيك هذا ؟ . . الشك يعذبك (ينصت جويا بامعان شديد ، يسمع صوت في الهواء فيرفع عينيه)

صوت رجل : « مامن أحد ينقذنا »

ليوكاديا : لن أكذب عليك . . لقد كان حيوانا . انهال علىّ ضربا . . وأنا . . كلبة متلهفة على اللذات الحسية . . ولقد أحسست هنا ، أمام عينيك . . وتذكرت أيامنا الخوالى وأنا منعمة بالرعب والمتعة . . أنا ضائعة . كنت أفكر في الآخرين وأنا أسلم نفسى لك (تئن) أطلق هذه العقدة حررني من الحياة ، أفتح لى الباب الذى بقى لى . (صمت ، يسند الرسام البندقية على المنضدة)

جويا : (لنفسه) لن أعرف مطلقا ماذا قلت (يتقدم) لكن ربما فهمتك . (يتوقف في منتصف المسرح ويبتسم بحزن) كما فهمت نفسى أيضا . ياله من أمر مضحك ملهاة مسلية ، تفضلوا أيتها السيدات والسادة ، استمعتوا بغيرة ذى القرنين العجوز « متوشالح »(١) وحيل الشاب العسكرى المزهو بنفسه . . الشيخ الهرم يهدد عشيقته الشابة لأنه لايجرؤ على إطلاق الرصاص نحو الآخرين . هكذا الامر ، عندما دخلوا لم أصل الى البندقية بسرعة لأننى لم أكن أريد ذلك حقيقة لأننى لم أجرؤ على الوصول بسرعة كوميديا محضة ! (تنفجر ليوكاديا في النشيج ، تجرى الى جانبه وتحضنه)

---

(١) بطريرك يهودى ، جد نوح ، وعاش طبقا للعهد القديم ٩٦٩ عاما (تكوين ٥ : ٢١) المترجم .

ليوكاديا : (فرانشوا !) (صمت)

صوت رجل : (في الهواء) مامن أحد يطلقني »(يتلوى جويا من الالم)

ليوكاديا : (فرانشوا ، يارجلى المسكين ، لقد حطموك !)

جويا : ساعديني (يتجه إلى المقعد وهو متكىء عليها ثم يجلس وهو يكتم أناته)

ليوكاديا : (استرح على فراشك يافرانشو . . سأعالجك . .) (تحاول خلع وشاح المحكوم عليهم في محاكم التفتيش منه ، ولكنه يعترض)

جـــويا : (لست جريحا . . كانوا يضربون على السطـــح . . (ترسم هى بعض الإشارات) لا ، لايبقى الاالعفن . بينما يرسمون هم الفساد والفتن ! ! (تضع إحدى يديها على كتفه وتنظر اليه مشفقة من زوغان عينيه ، وهو يتمتم بكلمات غير متماسكة ، تنصت ليوكاديا لحركة تأتي من ناحية اليمين) . . « نفس الشيء في بقاع أخرى . . هكذا حدث . . ودائما يحدث ! ! »

(تطل في هذه الاثناء جومير سيندا من اليمين بحذر وفزع ، وفي يدها حقيبة مشتروات »

جومر سيندا : (ماذا حدث ؟ . .)

ليوكاديا : (المتطوعون الملكيون)

(تكتم جومر سيندا صرخة رعب)

جـــويا من ؟(تترك جمير سيدا الحقيبة على مقعد وتتقـــدم

دون أن تصدق ماترى ، عندما تتحقق أن الـــذى يرتدى وشاح المحكوم عليهم في محاكم التفتيش هو حماها تنفجر في الصراخ والنحيب) أهى أنـــت ياجومر سيندا ؟

(هل أحضرت الهدايا من أجل غد ؟ لن يكـــون هناك عيد (يضحك) سيأتي الذئاب ويقضون علينا كى لا نغنى أناشيد الميلاد . على أن أرحل ، لأنهم سيعودون ، هكذا قالوا .)

جومر سيندا : (ساعديني على خلع هذا اللباس الشنيع)

(تحاول تخليصه من الوشاح ولكنه يقاوم)

جـــويا : اسكتى انهم لايريدون منى أن أخلعه ، ويجب علىّ أن اكون مطيعا .

(لا نعرف هل يهذى أم يسخر) سأرجو « بيشنـــت لوبيث » أن يعطينى دروسا في فن الرسم . . وأرجوك ياجومر سيندا . . (تذهل زوجة ابنه وتتراجع عدة خطوات ظانة أنه قد جن وتصرخ) لاتصرخى . . اقتربي . .

(تقترب جومر سيندا وهى تكظم أناتها) أريد ان أرجوك حتى تحمليني الى ابنى وحفيدى ، فلو بقيت هنا سيحطمون جمجمتى بالمطارق .

(تستنكر جومر سيندا عدة مرات وتعود للصراخ)

جومر سيندا : (مستنكرة) (لايمكنك ان تذهب هناك)

جـــويا : (ينهض بصعوبة) أترفضين إيوائي ؟

جومر سيندا : (تفتح ذراعيها ثم تضمهما في ضراعة) (سيسحقوننا جميعا)
لايمكنك ان تذهب هناك ، هناك لا . افهم ذلك . لا . لا ! !)
(وتعود للصراخ بطريقة هستيرية)

جـــويا : (في هذه الأثناء) انه بيت ابنى ، وانا الذى وهبتـــه لكم ، كما وهبت لكم هذه الضيعة (يكتســـب صوته بعض القوة إذ يتحدث وهو مغيظ)
أنا اطلب منك أن تقديني . لا تصرخى في وجهـــى (تجاه استنكار زوجة ابنه الذى يتجاوز الحـــدود يهتف بشدة) اخرسى ! (ويلطمها على وجههـــا . تبتلع جومر سيندا ريقها وتصمت في الحـــال . ثم تتباكى في صمت وتبتعد . يتمالك جويا نفســـه ويبتسم بأس) مرة أخرى الغضب الشديد ضد مـــن بوسعى أن أغضب عليهم ، الملهاة مرة اخـــرى . أنا لا أساوى اكثر من هؤلاء الأوغاد . (سكتـــه) ماذا فعلوا بي باليوكاديا ؟ (لنفسه) وماذا فعلت أنا بنفسى ؟ (تلمس ليوكاديا ذراعه بقلق وهى تنظر الى اليمين تنظر جومر سيندا أيضا وهى مذعـــورة . يدخل الأب دواسو والدكتور أرييتـــا مسرعـــين ولكنهم بنظرة واحده يدركون ماحـــدث)

أرييتـــا : (جئنا متأخرين)

(يكهفر جبين دواسو)

دواسو : (ساعدني يادكتور !)

(يهم بأن يخلع عن جويا الوشاح)

جـــويا : لا . لا .

دواسو : (بنشاط) (بلى)

(يتعاون مع الدكتور ويخلعان الوشاح ثم يلقيه دواسو على الارض بإحتقار يضع جويا يده على كتفه الذى يوجعـــه)

أرييتـــا : (الى ليوكاديا) (هل ضربوه ؟)

(تشير ليوكاديا بالإيجاب يحس أرييتا جبين الرسام ويرسم اشارات سريعة)

جـــويا : بوسعى أن أتماسك ، كانوا يضربون بالسياط على السطح . . وبالرغم من أننى عجوز . . (بحـــزن رهيب) أجل ، فأنا لست الا عجوزا مسكينا يلتهم الحساء . . شيخ هرم على حافة القبر (يستنكر أرييتا) وطن على حافة القبر . . يغط عقله في سبات عميق . . (يحتار الجميع) هـــه ؟ . .
لا اعرف ماذا أقول . لقد عشت سنين طويلة يا أب دواسو . .

صوت رجل : (في الهواء برفق شديد) » فلنذهب إن طلع الفجر . .«

جـــويا : (الذى سمع ما سبق) انظـــر إلى هذا الوشـــاح ، سيعودون بالمطارق .

(يتشبث برداء دواسو الذى لايستطيع أن يخفـــى ضيقه الشديد ويأخذه من يديه ويذهب به الى المنضدة حيث يكتب له) أنت تأمر وأنا أطيع . . سأذهب الى

منزلك (تهرع جومر سيندا الى الأب دواسو وتقبل يديه وهى تتمتم ببضع كلمات مبهمة ، يقاطع دواسو حماسها بجدية وصرامة ويكتب) أقبل ذلك ، عندما ترى هذا مناسبا تقدم بإسمى إلى جلالته طالبا العفو . . (يخفض دواسو بصره المضطرب ، نظرة أسى يتبادلها كل من جويا وأرييتا . .)

وأن يأذن لى حتى استشفى في فرنسا بمياه « بلوميز » (تحت وقع المهمة الكريهة التى قاربت الانتهاء يهز دواسو رأسه بالإيجاب دون ان ادني اغتباط . يبتعد أرييتا مكتئبا)

صوت نسائي : (في الهواء ، بنعومة شديدة) « فلنذهب إن طلع الفجر . . »

جويا : (الذى سمع الصوت السابق) اسمعى يا ليوكاديا ، علينا ان نفترق لبعض الوقت ، أرجوك ان تعدى لفافة بلوحاتي وحوافظى . . وأدوات رسمى . . وستحملين متاعى الى منزل الأب دواسو ، ثم اذهبى بعد ذلك الى منزل « تيبور ثيوربيريث » مع أولادك. وقولى له إن العجوز جويا يتمنى لك أعياد ميلاد سعيدة ويرجوك ان تسمح لى بركن (تشير ليوكاديا موافقة ، الى جومر سيندا) قولى لابنى باكو إن الحيوانات ستظل هنا . . وأن يتولى امرها .. (دواسو يلمس ذراعه ويستنكر ، يستنكر أرييتا أيضا بحزن) لا ؟ (دواسو يكتب) لا ياجومر سيندا هؤلاء الوحوش قتلوا الجياد والكلاب . . لابد أن القطط

قد هربت . . وسيموءون هنا الليلة.. عندما لن تكون هنا . .) يا أب دواسو . . إن تأخرت أنا في الالتقاء مع هذه المرأة المسكينة أرجوك أن ترعاها . . لاتسمح لهم بالاعتداء عليها . . بذنبي أنا (تبتعد ليوكاديا متأثرة ، يراقبها كل من دواسو وأرييتا بنظرات فزعة فضولية . يشير دواسو بالإيجاب)

صوت رجل : (في الهواء) أنا أعرف أن رجلا ما قد فرغ من تطريز رقعة . .

جويا : (ذا هلا) وهو يقول . . خرجت على أكمل وجه . . (يقترب أرييتا فينظر اليه جويا) ماذا قلت ؟ . .

صوت رجل : (في الهواء) من ذا يثير فينا الرعب ؟

جويا : الإنسان الذى يموت من الرعب . . رعب شديد في بطني ، لقد غلبوني ، لكنه كان مغلوبا من قبل .

دواسو : (يمسك ذراعه برفق) هيا بنا ؟

جويا : نعم ، نعم سيادتك تأمر ، هيا بنا

(يمشيان)

أصوات رجال

ونساء : (في الهواء) « فلنذهب ان طلع الفجر »

جويا : (يتوقف) أسيطلع ؟

أصوات رجال

ونساء : (أشد) فلنذهب ان طلع الفجر »

(تنضم لهذه الأصوات همهمات أخرى لرجال ونساء تتكرر كأنها موجات وأصداؤها)

أصوات : فلنذهب ان طلع الفجر ، لنذهب ان طلع الفجر !

جويا : هل سيأتي الطائرون ؟ (تزداد جوقة الأصوات)

وان جـــاؤوا . . ألن يسحقوننا مثـــل الكـــلاب؟
(ضحكات) كلاب أســـموديا !
(يذهب أرييتا الى جواره وممسك بذراعه الأخرى)

أرييتـــا : (هيا بنا ياسيد فرانثيسكو)
(يخطون عدة خطوات ، يتوقف جويا ، ويتخلص من صديقيه ثم يقترب مـــن ليوكاديا تتضاعـــف الأصوات ، يقرب جويا وجهة من وجهها ، يتبادلان النظرات لحظات ، أما نظراتها فمترقبة حـــــارة ، ونظراته متمنعة رهيبـــة)

جـــويا : لن أعرف أبـــدا .
(يأخذه دواسو برفق ، فيستدير ويلقى نظرة وداع شاملة على رسومه ولوحاته ، فإذا تأملها لطفت من ملامحه ابتسامة غريبة . ثم يتكىء على صديقيه ويمضى الى اليمين . تنضم جومر سيندا للجماعة وتلفظ عدة كلمات للسلوى بذلة . يهم الجميع بالخروج بينمـــا تقف ليوكاديا في وسط المسرح وترقب الرســـــام العجوز وهو يبتعد بنظرة موجعة غامضة)

أصوات : فلنذهب إن طلع الفجـــر »
(يكررون الجملة مرارا ويغزو صوتهم الحجـــرة كأنه إعصار شامل في نفس الوقت الذى تتلاشى فيه الأنوار وتبرق فيـــه على الجـــدار الخلفى — بين الأصوات التى تكاد تصيب سامعها بالصمـــــم — صورة لوحة « اجتماع الساحرات » المكبرة .)

(ســـــتار)

فهرست

الموضـــوع	رقم الصفحة
١ ـ مقـدمة بقلم المترجم	٥
٢ ـ شخصيات المسرحية	١٥
٣ ـ الجـزء الأول	١٧
٤ ـ الجـزء الثـانى	٩٧

* * *

ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١ـ	مانويل جاليتش	سمك عسير الهضم
٢ ـ	جان انوى	القبرة (جان دارك)
٣ ـ	هال بورتر	**البرج**
٤ ـ	تساو يو	عاصفة الرعد
٥ ـ	هارولد بنتر	١ ـ الخادم الاخرس
		٢ ـ التشكيلة او عرض الازياء
٦ ـ	جون وبستر	الشيطانة البيضاء
٧ ـ	تيرانس راتيجان	الاسكندر المقدونى او قصة مغامرة
٨ ـ	تيرى مونييه	سباق الملوك
٩ ـ	جون مورتيمر	استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠ ـ	فريدريش دورنيمات	النيزك
١١ ـ	يونسكو ـ اداموف ـ ارابال البى	دراما اللامعقول
١٢ ـ	اوجست سترندبرج	من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ١
		١ ـ مس جوليا
		٢ ـ الأب
١٣ ـ	نيقوس كازندزاكى	عطيل يعود
١٤ ـ	بيتر فايس	انشودة انجولا
١٥ ـ	اوليفر جولد سميث	تواضعت فظفرت
١٦ ـ	موليير	من الاعمال المختارة) موليير ـ ١
		● مدرسة الزوجات
		● نقد مدرسة الزوجات
		● ارتجالية فرساى
١٧ ـ	دوجلاس ستيوارت	عسكر ولصوص او نيد كيللى
١٨ ـ	وليم شكسبير	العين بالعين
١٩ ـ	اوجست سترندبرج	من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٢
		الطريق الى دمشق ـ ثلاثية

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٠ ـ	رومان رولان	١٤ يوليو
٢١ ـ	انجس ويلسون	شجرة التوت
٢٢ ـ	تيرانس راتيجان	روس او لورانس العرب
٢٣ ـ	كارون دى بومارشيه	حلاق اشبيلية
٢٤ ـ	وليم شكسبير	هاملت
٢٥ ـ	نويل كوارد	الحياة الشخصية
٢٦/١	سوفول	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ١ نساء تراخيس
٢٧/١	ـ جبريل مارس	من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ١ ١ ـ رجل الله ٢ ـ القلوب النهمة
٢٨ ـ	انريكي خارديل بونثلا	ليلة ساهرة من ليالي الربيع
٢٩/١	ـ اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٣ ١ ـ الاقوى ٢ ـ الرباط ٣ ـ الجرائم ٤ ـ موسيقى الشبح
٣٠ ـ	بيتر شافر	اصطياد الشمس
٣١/١	ـ جورج شحادة	من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ١ ١ ـ حكاية فاسكو ٢ ـ السيد بوبل
٣٢ ـ	هـ . و . فيرمان	انتصار حورس
٣٣/١	ـ جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو ـ ١ ١ ـ بيوت الارامل ٢ ـ العابث
٣٤ ـ	فرناندو ارابال	ثلاث مسرحيات طليعية ١ ـ قرافة السيارات ٢ ـ فاندو وليز ٣ ـ الشجرة المقدسة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٣٥	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٢ ١ ـ أوديب الملك ٢ ـ اوديب فى كولون ٣ ـ اليكترا
٣٦	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ١ ١ ـ اليكترا ٢ ـ لن تقع حرب طروادة
٣٧	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ١ ـ المغنية الصلعاء ٢ ـ الدرس ٣ ـ جاك او الامتثال ٤ ـ المستقبل فى البيض ٥ ـ الكراسى
٣٨	كوبر ـ تشيرشل ـ شارب ـ مانج	مسرحيات اذاعية
٣٩	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ١ ١ ـ روما لم تعد فى روما ٢ ـ المحراب المضيء او (مصباح النعش)
٤٠	انطون تشيخوف	١ ـ شيطان الغابة ٢ ـ الخال فانيا
٤١	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ٢ ١ ـ مهاجر بريسبان ٢ ـ البنفسج
٤٢	لويجى بيرندلو	(من الاعمال المختارة) لويجى بيرندلو ـ ١ ١ ـ ديانا والمثال ٢ ـ الحياة عطاء ٣ ـ لذة الامانة
٤٣	جيمس جويس	١ ـ ستيفن « د » ٢ ـ منفيون

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٤٤	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٤ ١ ـ الفرماء ٢ ـ الاميرة البيضاء ٣ ـ عيد الفصح
٤٥	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٣ ١ ـ انتيجونة ٢ ـ اجاكس ٣ ـ فيلوكتيت
٤٦	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ٢ ١ ـ سدوم وعمورة ٢ ـ مجنونة شايو
٤٧	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٢ ١ ـ ضحايا الواجب ٢ ـ مرتجلة المـا ٣ ـ سفاح بلا كراء
٤٨	جبرئيل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ٣ ١ ـ ريق القمة ٢ ـ العالم المكسور
٤٩	البى شيزجال	١ ـ الحلم الامريكى ٢ ـ الطابعان على الآلة
٥٠	ارمان سالاكرو	الارض كروية
٥١	جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو ـ ٢ ١ ـ السلاح والانسان ٢ ـ كانديدا ٣ ـ رجل المقادير
٥٢	هارولد بنتر	الحارس
٥٣	مارتنيس دى لاروزا	ابن امية او ثورة الموريسكيين

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٥٤	ـ وليم شكسبير	ماساة كريولانس
٥٥	ـ انطونيو بويرو باييخو	القصة المزدوجة للدكتور بالى
٥٦	ـ يوريبيديس	● الكسترا ● اورستيس
٥٧	ـ فيكتور هيجو	هرناني
٥٨	ـ ليو تولستوى	المستنيرون
٥٩	ـ موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ٣ ١ ـ سجاناريل ٢ ـ المتحذلقات المضحكات ٣ ـ مدرسة الازواج ٤ ـ الطبيب الطائر ٥ ـ غيرة الباربورييه
٦٠	ـ روبرت شيروود	الطريق الى روما
٦١	ـ فيليب بارى	● المهرجون ● قصة فيلادلفيا
٦٢	ـ ماكس فريش	● قصة حياة
٦٣	ـ جون جى	● اوبرا الصعلوك
٦٤	ـ دنيس ديدرو	● الابن الطبيعى
٦٥	ـ اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٥ ١ ـ رقصة الموت ٢ ـ الطريق الكبير
٦٦	ـ وليم ساروبان	١ ـ ايام العمر ٢ ـ سكان الكهف
٦٧	ـ اندريه شديد	١ ـ العارض ٢ ـ بيرينيس المصرية

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٦٨ ٢/١	لويجي بيرندلو	(من الاعمال المختارة) بيرندلو ـ ٢ ١ ـ المعصرة ٢ ـ اداء الادوار ٣ ـ ابو زهرة بفمه
٦٩	البير كامي	حالة طوارىء
٧٠ ٢/١	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ـ ١ ١ ـ حياة جالليو ٢ ـ طبول فى الليل
٧١	جراهام جرين	غرفة المعيشة
٧٢ ٣/٢	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٢ ١ ـ المستأجر الجديد ٢ ـ اللوحة ٣ ـ الخرتيت
٧٣ ٣/٣	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ٣ ١ ـ السفر ٢ ـ سهرة الامثال
٧٤	ثورنتون وايلدر	نجونا باعجوبة
٧٥ ٣/٣	جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو ـ ٣ ١ ـ تلميذ الشيطان ٢ ـ هداية القبطان براسباوند
٧٦	وليم شكسبير	● الملك لير
٧٧	وول شوينكا	● الطريق
٧٨	الكسى اربوزف	● عزيزى مارات المسكين
٧٩	هوجو فون هوفمانزتال	زفاف زبيدة
٨٠ ٢/١	جون اردن	(من الاعمال المختارة) جون اردن ـ ١ ١ ـ مياه بابل ٢ ـ رقصة العريف

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٨١ ـ	رومان رولان	روبسبيير
٨٢ ـ	سينيكا	● أوديب
٨٣ ـ ١/١	يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل ـ ١ ١ ـ ظمـا ٢ ـ عبودية ٣ ـ ضـباب ٤ ـ مبحرون شرقا الى كارديف ٥ ـ فى المنطقة ٦ ـ بدر على البحر الكاريبى
٨٤ ـ	جان كوكتو	١ ـ فرسان المائدة المستديرة ٢ ـ الآباء الأشقياء
٨٥ ـ	تيرانس راتيجان	١ ـ تعلم الفرنسية بلا دموع ٢ ـ الممر المضىء
٨٦ ـ	فديريكو فرسيا لوركا	● العرس الدموى
٨٧ ـ	كالدرون دى لاباركا	● الحياة حلم
٨٨ ـ	وليم شكسبير	● يوليوس قيصر
٨٩ ـ	يوريبيديس	١ ـ الفينيقيات ٢ ـ المستجيرات
٩٠ ـ	الكسندر استروفسكى	● لكل عالم هفوة
٩١ ـ ١/١	جون ميلنجتون سنج	(من الاعمال المختارة) جون ميلنجتون سنج ـ ١ ١ ـ ظل الوادى ٢ ـ الراكبون الى البحر ٣ ـ زفاف السمكرى ٤ ـ بئر القديسين

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٩٣/٣	جون ميلنجتون سنج	(من الاعمال المختارة) جون ميلنجتون سنج ـ ٢ ١ ـ فتى الغرب المدلل ٢ ـ ديردرا فتاة الاحزان ٣ ـ عندما غاب القمر
٩٣	آرثر ميللر	١ ـ كلهم ابنائى ٢ ـ الثمن
٩٤/٣	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ـ ٢ ١ ـ أوبرا القروش الثلاثة ٢ ـ لوكلوس ٣ ـ بعـل
٩٥	وليم شكسبير	تيمون الاثيني
٩٦	كارلو جولدونى	خادم سيدين
٩٧	اوجين لابيش	رحلة السيد بريشون
٩٨/٤	لويجى بيرندلو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٤ ● فتاة فى سن الزواج ● مشاجرة رباعية ● تخريف ثنائي ● الثغـرة ● لعبة الموت
٩٩/٣	لويجى بيرندلو	(من الاعمال المختارة) لويجى بيرندلو ـ ٣ ١ ـ ست شخصيات تبحث عن مؤلف ٢ ـ كل شيخ له طريقة ٣ ـ الليلة نرتجل
١٠٠/١	تشيكا ماتسو	(من الاعمال المختارة) تشيكا ماتسو ـ ١ ١ ـ انتحار الحبيبين فى سونيزاكى ٢ ـ معارك كوكسينجا

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١ ٢/١	ـ يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل ـ ٢ ١ ـ وراء الافق ٢ ـ أنا كريستى
٢ ٢/١	ـ جون آردن	(من الاعمال المختارة) جون آردن ـ ٢ ١ ـ الحرية المغلولة ٢ ـ صعود البطل
١٠٣	ـ وليم شكسبير	ماساة عطيل
١٠٤	ـ جايلز كوبر . كولين فينبو	١ ـ الطلبة المشاغبون ٢ ـ قبل يوم الاثنين الموعود ٣ ـ الليلة يوم الجمعة
٥ ٢/١	ـ برانيسلاف نوشيتش	١ ـ حرم سعادة الوزير ٢ ـ الدكتور
٦ ٢/١	ـ دنيس جونستون	١ ـ من المسرح الايرلندى ـ ٩ القمر فى النهر الاصفر
١٠٧	ـ ليرانس راليجان	١ ـ بينما تسطع الشمس ٢ ـ المهرجون
١٠٨	ـ فرانسواز ساجان	● ـ الحصان المفمى عليه ● ـ الشوكة
٩ ٢/١	نشيكاماتسو	(من الاعمال المختارة) نشيكاماتسو ـ ١ ● الصنوبرة المجتثة ● انتحار الحبيبين فى اميجيما
١٠ ٢/١	ـ برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ـ ٣ ● الام شجاعة ● السيد بنتلا وخادمه ماتى
١١ ١/٥	ـ يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٥ ● الغضب ● الملك يموت ● العطش والجوع

في العدد القادم

● مكبث

تأليف : وليم شكسبير

تمثل **مكبث** أعمق رؤية للشر وأنضجها عند شكسبير ؛ « وهى صورة معركة خاصة فى حرب كونية شاملة ، وأما ساحة المعركة ففى روحى مكبث وزوجته »

تأتى **مكبث** بعد **هاملت** ، **عطيل** ، **الملك لير** . **كان عطيل « قاتلا شريفا »** ، وكان الشر فى **الملك لير** مركزا فى الرباعى الوحشى جونريل ، ريجن ، ادموند ، كورنوول ، أما فى **مكبث** فيتحول الشر من الأنذال الى البطل والبطلة .

التضاد هو سمة المسرحية ، والتضاد بين النور والظلام ، والنظام والفوضى ، والصحة والمرض ، بعض من التضاد العام بين الخير والشر ، الملائكة والشياطين ، السماء والجحيم .

قد تكون **مكبث** أعظم المسرحيات الأخلاقية ، قصة نفس انسانية فى طريقها الىٰ العذاب الملعون ؛ صورة لطاقة لاتقهر وهى تشتعل فى **« غابات الليل »** ، شمعة وجيزة يطفئها تراب الموت ، ولكنها ليست « حكاية/يحكيها معتوه ، ملؤها الصخب والعنف / ولا تعنى أى شىء » .

في هذا العدد

● **حلم العقل ١٩٧٢** **تاليف : بويرو باييخو ٣**

نواصل فى هذا العدد تجولنا فى عالم بويرو باييخو الغريب . اختمرت فكرة هذه المسرحية لدى مؤلفنا ـ وكان فى شبابه فنانا تشكيليا ـ بملاحظة عابرة سمعها من صديق له عندما قال : « اعتقد أن جويا كان يسمع مواء القطط ؟؟ ولو علمنا أن جويا كان أصم لأدركنا مدى الطليعية اللا معقولة فى هذه المسرحية . لقد أتاح له هذا الصمم الفرصة ليقدم عملا مشحونا بالمواقف التى تبرز فيها روح السخرية . فهو وحده الذى يقول ويتكلم اما الآخرون فيتلمظون بالاشارات . يضعنا المؤلف فى داخل جويا ، نفكر معه ونرى بعينيه و « لا » نسمع بأذنه . وقد سبق للمؤلف أن عرض لنا عالم المكفوفين ، وها هو هنا يضعنا فى عالم الصم .

لقد نجح بويرو فى نقل انجازات فنون تيار الوعى فى القصة الحديثة الى عالم المسرح وتمكن من تفجير شحنة هائلة من الفكاهة التى تنبع من طبيعة المفارقة بين العالمين .

ونتساءل فى نهاية المسرحية : لمن الغلبة فى هذا الصراع بين الملك والفنان ؟ لا أحد يسجل نصرا حاسما ، فالغالب هو المغلوب . لأن الملك وان كان قد نجح فى اذلال الفنان فلأنه هو نفسه كان قد صرعه الخوف : « من ذا الذى يثير فينا الخوف ؟ انه الانسان الذى مات من الخوف ... ولقد هزمنى ، الا انه كان مهزوما من قبل . »

يستغل المؤلف كوابيس جويا وتصوراته واحلامه وعذاباته فى تآلف درامى مع براعة فى استخدام الصوت والصورة ليصور لنا عالم اللا معقول فى مسرحية تستنفذ امكانات الفنون الدرامية والتشكيلية .